مدخل لدراسة المراجع

تأليف :

دكتور عبد الستار الحلوجي
كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني - الفجالة - القاهرة
ت / ٩٠٤٦٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى كل النفوس السمحة الطيبة التي لا تحمل للناس إلا الخير ولا تضمر لهم غير المودة.

إلى كل القلوب النقية الطاهرة التي فتحت لي أبوابها وغمرتني بعطفها وحنانها وأفاضت عليّ من نبع محبتها.

إلى كل الذين أحبهم ويحبونني، وأشعر بأنني بهم أغنى الناس.

إليهم جميعاً... أساتذة وآباء، وأصدقاء وزملاء، وتلاميذ وأبناء أهدي هذا الكتاب.

عبد الستار

فهرس المحتويات

مقدمة

لا أعرف أنني ترددت في شيء كما ترددت في الكتابة عن المراجع مع أنني أشارك في تدريسها منذ بضع سنين وأعيش في خضمها الهائل الذي تتلاطم أمواجه وتتدافع، حاملة إلينا كل يوم جديداً من الكتب المرجعية بعضها جديد مستحدث وبعضها الآخر قديم معاد.

وفي هذا البحر الزاخر ألقى بعض المؤلفين شباكهم ثم جمعوها فخرج فيها أنواع متباينة من اللآلىء والأصداف. ولم تخلُ من بقايا نباتات القاع وفتات صخوره. وما زال البحر يموج ويموج ويفرض على كل من يخوضه من الدارسين بعامة والمكتبيين بخاصة أن يحسنوا فن السباحة وأن يحسنوا فن الغوص أيضاً حتى لا يقعوا إلا على كل غال ثمين.

ففي اللغة الإنجليزية ــ مثلاً ــ ظهرت عدة كتب عن المراجع أهمها:

— Walford, A.J. (ed.): Guide to Reference Material.

— Winchell, Constance: Guide to Reference Books.

— Katz, William A.: Introduction to Reference Work.

— Hutchins, Margaret: Introduction to Reference Work.

's, A.D.: Introduction to Reference Books.

— Shores, Louis: Basic Reference Sources.

— Rogers, A. Robert: The Humanities; a selective guide to information Sources.

والكتابان الأولان أقرب إلى أن يكونا قائمتين ببليوجرافيتين بكتب المراجع في مختلف فروع المعرفة. أما بقية الكتب فقد حاولت أن تتجاوز حدود الحصر والوصف وتقدم نظرة أشمل في عالم المراجع.

ولعل الدراسة التي قام بها (Ronald Staveley) ونشرها بعنوان: (Notes on Subject Bibliography) هي أنضج محاولة لتلمس الخطوط العريضة التي تسير فيها كتب المراجع الأجنبية بأنواعها المختلفة.

فإذا تركنا اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية استطعنا أن نتبين اتجاهين متميزين في التأليف عن المراجع. أولهما يستعرض الكتب الشهيرة في اللغة العربية بشيء من التفصيل ولا يكاد يتجاوزها إلى غيرها. ويمثل هذه المدرسة عمر الدقاق في كتابه «مصادر التراث العربي» وعبد الله اسماعيل الصاوي في كتابه «المراجع العربية» وعزة حسن في كتابه «المكتبة العربية» وعبد الكريم الأمين وزاهدة ابراهيم في كتابهما «دليل المراجع العربية» واليونسكو في «الدليل الببليوجرافي للقيم الثقافية العربية».

والاتجاه الآخر الذي سارت فيه المؤلفات العربية في هذا المجال هو حصر ما نشر من كتب مرجعية في اللغة العربية تأليفاً أو ترجمة، والاكتفاء بالبيانات الببليوجرافية التقليدية عن تلك الكتب. وحتى هذه البيانات كثيراً ما تكون قاصرة ومبتورة. ويمثل هذه المدرسة «دليل المراجع العربية والمعربة» لعبد الجبار عبد الرحمن و «المصادر العربية والمعربة» لمحمد ماهر حمادة و «لمحات في المكتبة والبحث والمصادر» لمحمد عجاج الخطيب.

وهاتان المدرستان تتفقان في أنهما تقومان على منهج الدراسة الفردية للمراجع وإن اختلفت سبيل كل منهما عن الأخرى. فإحداهما تكتفي بأعداد محدودة من الكتب المرجعية وتعطي عنها قدراً معقولاً من المعلومات، والأخرى توسع نطاقها وتستوعب أعداداً هائلة من تلك الكتب

ولكنها لا تعطي عنها من البيانات إلا أقل القليل حتى لتكاد تتحول إلى مجرد قوائم حصر ببليوجرافي.

وما زال المجال في اللغة العربية خالياً من كتاب يجرؤ على تجاوز حدود اللغة وحدود المعالجة الفردية لكتب المراجع في محاولة لتبين الخطوط العامة والتيارات الكبرى التي تحكم هذا النوع من الكتب، كتب المراجع.

ومع أن كتاب «المراجع ودراستها في علوم المكتبات» للدكتور سعد الهجرسي ينتهي بفصل عن مناهج دراسة المراجع، إلا أن الكتاب في جوهره لا يتحدث عن كتب المراجع وإنما عن علم المراجع، موضوعه ومكانه بين علوم المكتبات.

وأنا أعترف بأن مادة المراجع مصدر عذاب للذين يدرسونها من طلاب أقسام المكتبات وغيرهم، وأعترف أيضاً بأنها مصدر عناء ومعاناة للذين يقومون بتدريسها لأنها مادة نامية متطورة لا تعرف الحدود وإنما هي في اتساع دائم ونموّ مطرد وتغير متلاحق.

ولعل هذا هو ما جعلني أقدم رجلاً وأؤخر أخرى عند كتابة هذه الفصول. ولعل هذا أيضاً هو ما أغراني بأن أتجنب التفاصيل الثانوية وأكتفي بتتبع الخطوط الرئيسية في كل نوع من أنواع المراجع، في محاولة لتحديد أبرز ملامحه وأهم سماته وأدق خصائصه.

ولقد أتيح لهذا الكتاب أن يرى النور لأول مرة في عام ١٩٧٤، ثم نفدت هذه الطبعة فأعيدت في سنة ١٩٧٩ دون تعديل أو إضافة. وعندما نفدت وبدأ التفكير في طبع الكتاب من جديد، وجدت مادته تحتاج إلى تحديث بعد أن ظهر خلال السنوات السبع التي انقضت منذ طبعة الأولى طوفان من كتب المراجع في مختلف المجالات وبمختلف الأشكال واللغات. ولهذا عكفت على الكتاب أعيد النظر فيه لأخرجه إلى القراء في هذه الطبعة

ـديدة التي شملت تعديلات وإضافات جوهرية انتقلت بمادته من أوائل السبعينات إلى أوائل الثمانينات.

ولست أدعي أنني قد بلغت ما أريد، وما أظن إلا أنني سأعود إلى تلك الفصول أعدِّل فيها وأضيف إليها إذا امتد الأجل وواتت الظروف. وكل ما أرجوه أن يسدّ الكتاب حاجة من حاجات المثقف العربي، وأن يملأ بعض الفراغ الذي تعانيه المكتبة العربية في هذا النوع من الدراسات.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع به بقدر ما بُذل فيه من جهد، وما أنفق فيه من وقت، وما صاحبه من نيّة خالصة لله. «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

عبد الستار الحلوجي

تمهيد

المراجع والمصادر لفظان يترددان كثيراً على ألسنة الطلاب والباحثين. ولا يكاد يخلو بحث من استعمال أحدهما أو استعمالهما معاً للدلالة على المنابع والروافد التي صبت في البحث والتقت مياهها فيه. والحق أن اللفظين متقاربان في معناهما اللغوي، فالصدر والرجوع مصدران بمعنى واحد. والصدر أيضاً اسم يدل على أعلى مقدم كل شيء وأوله كما تذكر معاجم اللغة. ومن ثم يمكن التمييز بين المصدر والمرجع على أساس أن الأول أخص من الثاني لأنه يقتصر في الدلالة على ما يرتبط بالأشياء الأساسية أو الأولية بالنسبة لموضوع البحث.

وهذا الفارق اللغوي بين المصدر والمرجع هو نفسه الفارق بينهما في الاستعمال الاصطلاحي في مختلف مجالات البحث. فالمصدر في الدراسات التاريخية هو الكتاب الذي يضم معلومات أصلية عن موضوع الدراسة كأن يكون روايات مُشَاهِد للحدث التاريخي أو وثائق أو آثاراً ترجع إلى الفترة موضوع الدراسة، والمصدر في علم الحديث هو كتب الأحاديث نفسها، وفي الأدب هو النصوص الأدبية التي صدرت عن الشاعر أو الكاتب موضوع الدراسة. أما المرجع فيطلق على الدراسات الحديثة التي عالجت الموضوع تاريخاً أو أدباً أو حديثاً أو فقهاً أو غير ذلك من فروع المعرفة.

والفئة الوحيدة التي استعملت لفظ المراجع استعمالاً خاصاً هي فئة المكتبيين فالمراجع عندهم هي الكتب الشاملة التي ترتب مادتها ترتيباً لا يراعى فيه ترابط وحداتها ترابطاً عضوياً كالترتيب الهجائي ــ مثلاً ــ ومن ثم فهي لا تُقرأ من أولها إلى آخرها ولكن يُرجع إليها عند الضرورة للإجابة على استفسار معين لدى الباحث. أما المصادر فهي عندهم أعمّ لأنها تعني بالنسبة لهم جميع المواد المكتبية التي يلجأ إليها الباحث للحصول على المعلومات سواء كانت مراجع أو لم تكن.

ومن هذا العرض السريع لدلالات اللفظين يتضح لنا أن التفرقة بين المصدر والمرجع في الدراسات المختلفة تقوم على أساس مادة الكتاب وصلتها بموضوع الدراسة ومدى أصالتها بالنسبة له. أما في مجال المكتبات فالتفرقة بينهما تقوم على أساس طبيعة الكتاب وليس على أساس مادته ودرجة الصلة بين ما فيه وبين موضوع الدراسة. وبهذا المفهوم الأخير سوف يكون تناولنا للمراجع بمختلف أنواعها وأشكالها.

وقد يتساءل البعض: لماذا تجنبنا طريقة المعالجة الموضوعية مع أنها الشائعة في مثل تلك الكتابات؟ والردّ على ذلك يعرفه المكتبيون قبل غيرهم. فالتقسيم الموضوعي يضطر صاحبه إلى تكرار الحديث عن المراجع العامة التي يلجأ إليها الباحث في أي فرع من فروع المعرفة. وتفادياً لهذا التكرار اتخذت تلك الدراسة من نوعيات المراجع أساساً للتقسيم. وتدرجت في معالجة كل نوع منها من العام إلى الخاص تمشياً مع طبائع الأشياء.

الموضوعات

والموسوعات نوعان: عامة ومتخصصة. فالعامة هي التي تعالج مختلف مجالات المعرفة الإنسانية دون تفريق بينها. أما المتخصصة فهي التي تحصر نفسها في مجال واحد كالتربية أو الفلسفة، أو تتسع بحيث تغطي عدة مجالات متصلة ببعضها كالفنون أو العلوم الاجتماعية. والنوع الأول هو الأقدم والأكثر انتشاراً واشتهاراً في اللغات الأوروبية الحديثة، ونذكر منه على سبيل المثال لا الحصر:

في اللغة الانجليزية:

— Encyclopaedia Britannica.

التي صدرت طبعتها الأولى في ثلاثة مجلدات سنة ١٧٦٨ ـ ١٧٧١ وبلغت ٢٤ مجلداً في طبعتها الرابعة عشرة ثم رئي إجراء تعديل شامل عليها تمثله الطبعة الخامسة عشرة التي صدرت سنة ١٩٧٥ في ثلاثين مجلداً.

— Encyclopedia Americana.

التي صدرت للمرة الأولى سنة ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ في ١٦ مجلداً وبلغت ثلاثين مجلداً في طبعتها الأخيرة التي صدرت عام ١٩٦٥.

وفي اللغة الفرنسية:

— La Grande Encyclopédie, 1886-1902. 31 Vols.

— Grande Larousse Encyclopédique. 1960-63. 10 Vols + Supl.

وفي الايطالية:

— Enciclopedia Italiana 1929-39. 36 Vols.

بملاحقها الثلاثة التي تقع في ٥ مجلدات وتغطي حتى سنة ١٩٦٠.

وفي الألمانية:

— Der Grosse Brockhaus. 16th ed. 1952-63. 15 Vols.

— Brockhaus Enzyklopädie, 1966. 20 Vols.

ولقد واجهت الموسوعات منذ بدء ظهورها في أوروبا في القرن الثامن عشر تحدياً كبيراً هو: كيف تعالج الموضوعات؟ هل يعالج الموضوع الواحد من جميع زواياه في مقال واحد أم يفتت إلى موضوعات صغيرة يعالج كل منها على حدة؟ ورئي أن تقسيم المعرفة إلى مجالاتها الكبرى كالدين والفلسفة واللغة والأدب والتاريخ وغيرها، ومعالجة كل موضوع بهذا الاتساع والشمول ينتج عنه أن تمتد الكتابة عن الموضوع الواحد إلى مجلد كامل وربما بضعة مجلدات، وسيسبب ذلك صعوبات بالغة لمن يبحث عن نقطة معينة. فلو عولج موضوع التعليم ـ مثلاً ـ في مقال واحد يتناوله من الزاوية الزمانية بادئاً من أعماق الزمان وممتداً عبر القرون إلى هذا العصر الذي نعيش فيه، ومن الزاوية المكانية مستعرضاً نظم التعليم في مختلف بقاع العالم القديم والحديث، ومن الزاوية الموضوعية مستوعباً المجالات المختلفة التي تعالج عند دراسة التعليم كفلسفة التربية وأصولها وطرق التدريس والمناهج وعلم النفس الارتقائي والتعليمي والوسائل السمعية والبصرية وغيرها من الموضوعات التي تدخل في دائرة التعليم، فإن الباحث الذي يريد أن يقرأ عن فلسفة التربية عند الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد أو عند المسلمين في القرن العاشر الميلادي ـ مثلاً ـ سيضل في متاهات متشعبة لا يهتدي فيها إلى ما يريد إلا بعد مشقة بالغة وجهد جهيد. وموضوع كالأدب كيف يعالج في مقال واحد يتناول أبعاده الأربعة: البعد اللغوي، والبعد التاريخي، والبعد الجغرافي، والبعد الشكلي الذي

يقسم الأدب إلى فنونه المختلفة كالشعر والمسرح والقصة والخطابة وغيرها؟ وكيف يجد الباحث طريقه إلى الشعر التمثيلي عند قدماء اليونان أو الخطابة السياسية عند العرب في العصر الأموي ـ مثلاً ـ في ذلك الخضم الهائل من المعلومات؟

من أجل هذا اضطرت الموسوعات إلى أن تضحي بالوحدة الموضوعية في سبيل أن تحقق للباحث الوصول إلى ما يريد بسهولة ويسر، وعمدت إلى تفتيت مجالات المعرفة إلى أصغر جزئياتها وترتيب هذه الجزئيات ترتيباً هجائياً مع الربط بين جزئيات الموضوع الواحد بالإحالات مثل:

الأدب المسرحي	انظر أيضاً	شكسبير
الشعر اليوناني	انظر أيضاً	الإلياذة

وبعد تفتيت المعرفة إلى جزئياتها تعهد الهيئة المشرفة على تحرير الموسوعة بكل جزئية إلى أحد كبار المتخصصين في الموضوع فيكتب عنها مقالاً يوقعه باسمه ويذيِّله بقائمة بأهم ما كُتب فيه. وتتجمع هذه المقالات لدى تلك الهيئة فتنظمها وتقوم على نشرها والتقديم لها وإعداد ما يلزمها من الإرشادات والفهارس والكشافات.

وتوقيع المقال باسم كاتبه أو بالأحرف الأولى منه يضفي عليه الكثير من الثقة فيما جاء به من معلومات وحقائق، ذلك أن أسمــاء الكتّاب تجمع وترتب ترتيباً هجائياً وتذكر عادة في بداية المجلد الأول من الموسوعة[1] وأمام اسم كل واحد درجاته العلمية ووظيفته وأهم مؤلفاته حتى يطمئن القارىء إلى أنه سلم إلى أيد أمينة لها وزنها العلمي.

(١) وربما ذكرت في المجلد الأخير كما في Encyclopedia of Education.

وتذييل المقال بذكر أهم المؤلفات في موضوعه أمر ضروري لأن الذي يرجع إلى الموسوعة في موضوع من الموضوعات يكون ـ عادة ـ جاهلاً بحدود هذا الموضوع ومصادره، ومن ثم يصبح من المفيد جداً ألا تكتفي الموسوعة بأن تمده بفكرة موجزة عن الموضوع مهما كانت دقيقة وصحيحة، وإنما تمضي إلى ما هو أبعد من ذلك فتقدم له أهم المراجع التي يجد فيها مزيداً من التفصيل والإيضاح[1].

ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن كل الموسوعات تلتزم هذا النهج القويم. فبعضها لا توقع المقالات فيها بأسماء كاتبيها كما في Grande Larousse Encyclopédique, The Columbia Encyclopedia وبعضها الآخر يكتفي بالمقال ويهمل ذكر مراجع الموضوع[2] كما في Grolier Universal Encyclopedia وبعضها يستعمل الإحالات بسخاء للربط بين أجزاء الموضوع الواحد وفروعه التي عولجت في مواضع مختلفة حسب ترتيبها الهجائي مثل Everyman's Encyclopedia, Der Grosse Brockhaus بينما لا يكاد البعض الآخر يستعمل تلك الإحالات إلا في القليل النادر.

وليست الموسوعات العامة سواء في قيمتها ولا في معالجتها للموضوعات المختلفة ومدى الفائدة المرجوة منها للباحثين في مختلف فروع المعرفة، فلكلّ منها مجال تتفوق فيه على نظائرها. فدائرة المعارف البريطانية ـ مثلاً ـ قوية فيما يتصل بالفن والأدب وعلوم الحياة، ودائرة المعارف الأميركية Americana وافية بالنسبة للعلوم والتكنولوجيا والأدب، والايطالية Italiana أقواها جميعاً في مجال الفنون، والفرنسية La Grande Encyclopédie تركز على تاريخ اوروبا ـ وفرنسا بصفة خاصة ـ وآدابها

(١) وقد تجمع هذه البيليوجرافيات في آخر الموسوعة كما في Collier's Encyclopedia.

(٢) حتى الموسوعات التي تذكر بيليوجرافيات تتفاوت فيما بينها، فبعضها يقتصر على الكتب وبعضها الآخر يضيف مقالات الدوريات كما هو الحال في دائرة المعارف الايطالية. وحتى التي تقتصر على الكتب تتفاوت في التفاصيل التي تعطيها عن كل كتاب.

وتراجم رجالها، بينما تنفرد New International Encyclopedia بكثرة ما بها من تراجم، في الوقت الذي نجد فيه دائرة المعارف البريطانية Britannica لا تحفل بالشخصيات.

وكما تتفاوت الموسوعات العامة فيما بينها في نقط التركيز، كذلك تتفاوت في درجة تحيزها العقائدي أو السياسي أو القومي، فالتحيز الإقليمي واضح في دائرة المعارف الأميركية وفي دوائر المعارف الألمانية بلا استثناء، والتحيز للنظام الفاشستي لا يستتر في Italiana وإنما يطل برأسه من خلال مقالاتها التي تتصل بالسياسة، والتحيز الديني والقومي في Grande Larousse Encyclopédique ليس في المقالات وحدها وإنما في البيليوجرافيات أيضاً، فهي لا تذكر إلا الكتب الفرنسية أو على الأقل المترجمة إلى اللغة الفرنسية. وطبيعي أن تهتم كل موسوعة بما يتصل ببلدها وأن تركز في بيليوجرافياتها على ما كتب بلغتها. وذلك أمر لم تسلم منه موسوعة من الموسوعات، أما أن تهمل كل ما كتب في اللغات الأخرى فهذا هو التحيز المقيت.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة الواقعة ظهر الاتجاه الجديد إلى إصدار موسوعات إقليمية تتناول مختلف فروع المعرفة من الزوايا التي تهم أبناء الإقليم وتركز على كل ما يتصل بماضيهم وحاضرهم دون أن تتهم بتحيز أو زيغ. ومن هذا النوع الجديد Australian Encyclopaedia, Encyclopaedia Canadiana.

ويعاب على الموسوعات بصفة عامة أنها تعجز في كثير من الأحيان عن مُلاحقة تطور المعرفة البشرية والكشوف العلمية والأحداث التاريخية. ففي العلوم سريعة التطور كالهندسة والطب والصيدلة تجد الموسوعات نفسها في موقف لا تحسد عليه لأن عجلة التقدم في هذه المجالات لا تتوقف لحظة من الزمن. ومن هنا تتقادم معلوماتها بسرعة مذهلة. ولتوضيح ذلك نقول إن مقالاً عن جغرافية مصر مضى على كتابته خمسون

عاماً لا يفقد كثيراً من قيمته العلمية، بينما مقال آخر عن تاريخ مصر مضت على كتابته هذه الفترة يصبح عديم القيمة بالنسبة لتاريخ مصر المعاصر.

وإذا كانت بعض العلوم سريعة التطور والنماء وبعضها وئيد الحركة بطيء الإيقاع فإن المجال الواحد من مجالات المعرفة قد تتفاوت سرعة الحركة التي تنتظم فروعه المختلفة تفاوتاً كبيراً. فالنظرة العامة إلى الطب تضعه بين العلوم سريعة التطور، فإذا أمعنا النظر في فروعه وجدنا بعضها يعدو والبعض الآخر يبدو وكأنه جامد لا يتحرك. فالجراحة والتخدير ـ مثلاً ـ لا يكفان عن التطور والتجديد، بينما التشريح ثقيل الحركة وئيد الخطى.

وقضية تقادم المعلومات هذه لا تنسحب على المعلومات التي تقدمها المقالات فحسب، وانما تمتد إلى الببليوجرافيات التي تذيّل بها أيضاً. فمقال التخدير الذي يختم بمراجع مضى عليها ربع قرن من الزمان تعتبر مراجعه قديمة قليلة الفائدة للباحثين، بينما لا تفقد المراجع في مقال التشريح شيئاً من قيمتها إذا كانت قد مضى على تأليفها مثل هذه الفترة.

من أجل ذلك كان لابد للموسوعات من أن تسعى لتجديد نفسها وتحديث معلوماتها، ولكن التصحيح وإعادة الطبع لموسوعة كبيرة تتجاوز مجلداتها العشرين مجلداً في أغلب الأحوال ليس أمراً ميسور التحقيق على فترات متقاربة، ولا هو مقبول من الناحية الاقتصادية. ولهذا لجأت الموسوعات الكبرى ـ في محاولة منها للحاق بالزمن وبكل ما يحمله من تطور في مجالات العلم والحياة ـ لجأت إلى إصدار ملاحق سنوية تضم أهم ما جدّ على مادتها العلمية مثل:

— Americana Annual. 1923 —

— Britannica Book of the Year. 1938 —

— New International Yearbook. 1932 —

ولكن هذه الملاحق السنوية لا ينبغي أن نطمئن إليها اطمئناناً كاملاً لأنها لا تزال عاجزة عن ملاحقة كشوف العلم وأحداث الزمان، ولأن المادة العلمية الواحدة ستتشتت بين الأصل والملاحق وسيصبح الباحث عن أي مادة في الموسوعة مطالباً بأن يراجع الأصل والملاحق جميعها، وقد يجد في بعض هذه الملاحق شيئاً يفيده وقد لا يجد.

وإذا كان ما سبق أن ذكرناه يمثل الإطار العام الذي تتحرك بداخله الموسوعات العامة الأجنبية، فلقد اختطت دائرة المعارف البريطانية لنفسها طريقاً جديداً غير الطريق التقليدي الذي سارت فيه مائتي عام أو يزيد. ففي سنة ١٩٧٥ أصدرت طبعتها الخامسة عشرة باسم «دائرة المعارف البريطانية الحديثة» The New Encyclopaedia Britannica وتقع هذه الطبعة في ثلاثين مجلدا موزعة على مجموعات ثلاث:

المجموعة الأولى منها تتكون من ١٩ مجلداً مرقمة بالأرقام العربية (1, 2, 3...) وتعرف بالـ Macropaedia أو الموسَّعة، وهي على نمط الطبعات التقليدية السابقة للموسوعة، فالمقالات تعالج مختلف مجالات المعرفة بتعمق وتفصيل، كما يقول عنوانها الفرعي Knowledge in depth، وقد رتبت ترتيباً هجائياً ووقعت بالأحرف الأولى من أسماء كاتبيها، وختم كل مقال بقائمة ببليوجرافية بأهم الكتابات وأحدثها في الموضوع. ولم تقتصر البيليوجرافيات على الكتب وإنما ضمت إليها المقالات الهامة التي نشرت في الدوريات المتخصصة، ولم تقتصر على ما كتب بالانجليزية وإنما ضمت إليه ما كتب باللغات الأوروبية الأخرى. يمتاز هذه المجموعة بحداثة معلوماتها وباستخدام الصور والخرائط والرسوم التوضيحية، وكثير منها بالألوان. كما تمتاز باستعمال عناوين جانبية للمقالات تذكر في هوامش الصفحات بالإضافة إلى العناوين الفرعية.

أما المجموعة الثانية من الموسوعة فتضم عشرة مجلدات مرقمة بالأرقام الرومانية (I II, III,....) وتعرف بالـ Micropaedia أو الموجز. وفي

هذه المجلدات العشرة التي يصفها عنوانها الفرعي بأنها Ready reference & index تعالج أدق جزئيات المعرفة من (A) إلى (Z) معالجة سريعة ومختصرة. وحيث توجد للموضوع معالجة مفصلة في إحدى مقالات المجموعة الأولى يذكر رقم المجلد ورقم الصفحة بالمجموعة الأولى بعد رأس الموضوع مباشرة. أما إذا كان الموضوع قد ورد ضمن مقال أعم من مقالات المجموعة الأولى فيشار إلى ذلك بعد انتهاء الحديث عنه حيث يذكر الجزء والصفحة التي ورد بها. وقد قسمت كل صفحة إلى ثمانية قطاعات هي (a, b, c, d,) للعمود أو النهر الأيسر، و (e, f, g, h) للعمود الأيمن، وذكر رمز القطاع بعد رقم الصفحة لتيسير الوصول إلى موضع الإشارة.

وفي هذه المجموعة المركزة أو الموجزة تستعمل الإحالات والصور بسخاء، ولا توقع المقالات بأسماء كتّابها ولا تختم ببيليوجرافيات على أساس أن الهدف منها هو أن تقدم الإجابات السريعة عن استفسارات الباحثين لا أن تكون مادة للبحث والاستقصاء.

وتبقى بعد ذلك المجموعة الثالثة وهي مجلد واحد مساعد يعرف بالـ Propaedia أو الدليل Guide to the Britannica ويضم بين دفتيه عدة أشياء نجملها فيما يلي:

(أ) تصور كامل للمعرفة يقسمها إلى عشرة أجزاء رئيسية (Parts) هي:

١ ــ المادة والطاقة.
٢ ــ الأرض.
٣ ــ الحياة على الأرض.
٤ ــ الحياة الإنسانية.
٥ ــ المجتمع البشري.
٦ ــ الفن.
٧ ــ التكنولوجيا.
٨ ــ الدين.
٩ ــ تاريخ البشرية.
١٠ ــ فروع المعرفة.

وكل جزء من هذه الأجزاء يتفرع إلى أقسام (Divisions) وكل قسم يتفرع بدوره إلى موضوعاته المختلفة.

وبعد عرض هذا التصور الكامل للمعرفة يأتي تفصيل الأجزاء العشرة الرئيسية ومحتويات كل منها. فيُستهل كل جزء منها بمقدمة، ثم بتعريف لموضوعه وتفريعاته، وبعد ذلك تتتابع أقسامه واحداً بعد الآخر، فيعرَّف بكل قسم وبموضوعاته وتفريعاته المختلفة، وأمام كل تفريع ثلاثة أنهر أولها للمقالات، فإن كان الموضوع قد عولج في مقال بأحد مجلدات المجموعة الأولى ذكر في هذا النهر عنوان المقال ورقم الجزء الذي ورد فيه وأرقام الصفحات التي يشغلها، وإن كان الموضوع قد ذكر ضمن مقال عن موضوع آخر أعم، ذكر في النهر التالي رقم الجزء ورقم الصفحة والموضع الذي ذكر فيه من الصفحة. وأما إن كان الموضوع قد ورد عرضاً في مكان ما من المجموعة الأولى فيذكر الجزء الذي أشير إليه فيه وتحدد الصفحة وموضع الإشارة إليه في النهر الثالث.

وهذا العرض لمجالات المعرفة وموضوعاتها وتفريعاتها يستغرق ما يقرب من ثمانمائة صفحة من هذا المجلد.

(ب) مستشارو التحرير، مع البدء بمجموعة عامة تليها عشر مجموعات تختص كل منها بأحد أجزاء المعرفة العشرة. وقد ذكرت الأسماء هنا كاملة ورتبت كل مجموعة هجائياً بأسماء العائلة، وبعد الاسم تذكر الوظيفة التي يشغلها الشخص والعمل الذي يقوم به.

(ج) المحررون الذين شاركوا في تحرير المجموعة الأولى بمجلداتها التسعة عشر مرتبين هجائياً حسب الاختصارات التي وقعوا بها مقالاتهم. وبعد اسم كل منهم تذكر وظيفة وعناوين المقالات التي كتبها مرتبة فيما بينها ترتيباً هجائياً، مع ذكر عبارة (in Part) بعد عناوين المقالات التي شارك في تحريرها.

(د) كشاف هجائي بأسماء محرري ومستشاري تحرير مجلدات المجموعة الأولى مجتمعين ومرتبين هجائياً باسم العائلة.

(هـ) المسؤولون عن المجموعة الثانية بمجلداتها العشرة. والمقصود بالمسؤولين هنا المحررون أو الأشخاص الذين استُقيت مادة المقالات من كتاباتهم. وقد قسموا إلى عشر مجموعات كل منها تختص بمجال من مجالات المعرفة العشرة، ورتبت الأسماء في كل مجموعة ترتيباً هجائياً بالاسم الأول، وبعد ذكر الاسم كاملاً يذكر تاريخ وفاة الشخص (إن كان قد توفي) ووظيفته العلمية.

ومن هذا العرض السريع لمحتويات الطبعة الجديدة من تلك الموسوعة يتضح لنا أنها تتميز عن الطبعات السابقة وعن غيرها من الموسوعات الأجنبية بأمرين أساسيين هما:

أولاً: أنها قدمت ــ لأول مرة ــ مستويين من المعالجة العلمية أحدهما للباحثين المتأنين والآخر للردود السريعة على استفسارات القراء المتعجلين. وقد تمثل المستوى الأول في الـ Macropaedia بمجلداتها التسعة عشر، بينما تمثل المستوى الثاني في الـ Micropaedia بمجلداتها العشرة.

ثانياً: أنها قدمت ــ لأول مرة أيضاً ــ تصوراً جديداً ومتكاملاً لدورة المعرفة على خلاف التصورات التي تعكسها خطط التصنيف العالمية، وإن كان قد استقى من التصانيف فكرة التقسيم العشري وتفريعاته بحيث تبدأ جميع تفريعات الجزء الرابع ــ مثلاً ــ بالرقم ٤ في خانة المئات، وتبدأ تفريعات القسم الثالث من هذا الجزء بالرقم ٣ في خانة العشرات، أما خانة الآحاد فتترك للتفريعات الدقيقة. والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو الجزء العاشر الذي أبقى الرقم ١٠ كما هو وفصل بينه وبين الأقسام والتفريعات بالشرطة المائلة مثل (10/31) حتى لا يختلط بتفريعات الجزء الأول الذي خصص له الرقم ١. وفيما عدا ذلك تمردت هذه الموسوعة في

تصورها للمعرفة تمرداً كاملاً على كل خطط التصنيف المألوفة وقدمت لنا تصوراً جديداً جديراً بأن يتدارسه المكتبيون لعلهم يجدون فيه غناء في عمليات التصنيف وحلاً لمشاكله المستعصية.

هذا عن الموسوعات العامة.

فإذا انتقلنا إلى الموسوعات المتخصصة وهي التي تحدّ نفسها بحدود موضوعية لا تتجاوزها، وجدناها هي الأخرى فئتين:

الفئة الأولى لا يميزها عن الموسوعات العامة إلا الحدود الموضوعية التي التزمت بها، وفيما عدا ذلك فهي إلى الموسوعات العامة أقرب وبها أشبه. تشبهها من حيث الضخامة وتعدد المجلدات، ومن حيث أنها ليست جهد فرد واحد وإنما هي حصيلة عمل مئات من العلماء والباحثين، وتشبهها أيضاً في أن المقالات فيها موقعة بأسماء كاتبيها ومذيلة ببليوجرافيات تبين للباحث أين يمكن أن يجد المزيد من المعلومات والتفاصيل.

وهذه الفئة يمكن أن نقسمها من حيث العموم والخصوص إلى مجموعتين:

الأولى: هي الموسوعات التي تعالج عدة مجالات مترابطة أو متداخلة مثل Encyclopedia of the Social Sciences التي تغطي مجال العلوم الاجتماعية والجوانب الاجتماعية لعلوم الأخلاق والتربية والفلسفة والحياة والجغرافيا والطب والفن وغيرها، و Encyclopaedia of Religion & Ethics التي يتسع مجالها لجميع المعتقدات الدينية والأخلاقية والتي تترجم للأشخاص البارزين وتعرّف بالأماكن المشهورة في تاريخ الأديان والأخلاق و Mc Graw-Hill Encyclopedia of Science & Technology التي تغطي جميع العلوم البحتة والتطبيقية كالرياضة والهندسة والفلك والجيولوجيا والفيزياء

والنبات وغيرها، و Encyclopedia of World Art التي تستوعب مختلف الفنون عند مختلف الأمم والشعوب.

الثانية: تضم الموسوعات الأكثر تخصصاً مثل:

— Encyclopedia of Library and Information Science. N.Y., 1968.(١)
— Encyclopedia of Computer Science and Technology. N.Y., 1975-1980. 15 Vols.
— The Encyclopedia of Education. N.Y., 1971. 10 Vols.
— The Encyclopedia of Philosophy. London, 1967. 8 Vols.
— The Concise Encyclopaedia of Western Philosophy and Philosophers. London 1960. 1 Vol.
— Encyclopedia of the Biological Sciences. N.Y., 1961. 1 Vol.
— Larousse Encyclopedia of Astronomy. London, 1959. 1 Vol.
— International Encyclopedia of Statistics N.Y., 1978. 2 Vols.

ولعله لم يظفر مجال من مجالات المعرفة بمثل ما ظفر به مجال الدين من الموسوعات التي نذكر منها:

— The Encyclopaedia of Islam. Leiden, 1913-34. 4Vols. (New Edition. 1960).
— New Catholic Encyclopedia. N.Y., 1967. 15 Vols.
— The Jewish Encyclopedia. N.Y., 1901-6. (Reprinted, 1964) 12 Vols.
— The Universal Jewish Encyclopedia. N.Y., 1939 — 44. 10 Vols.
— Encyclopaedia Judaica. Berlin, 1928-34. (incomplete) 10 vols.

وطبيعي أن تكون الموسوعات المتخصصة ـ بحكم ضيق نطاقها ـ أشد تفصيلاً في معالجة موضوعاتها من الموسوعات العامة. وطبيعي أيضاً أن تتفاوت فيما بينها في مستوى المعالجة، فبينما نجد Encyclopaedia Judaica, Encyclopedia of Biological Sciences, Encyclopedia of Computer Sc. & Technology تخاطب الباحثين المتخصصين، نجد Larousse Encyclopedia of Astronomy, Universal Jewish Encyclopedia, Larousse Encyclopedia of Ancient & Medieval History موجهة أصلاً للتلاميذ وصغار الباحثين.

---

(١) صدر منها ٢٩ مجلداً حتى سنة ١٩٨٠ وصل آخرها إلى (System Analysis).

أما McGraw-Hill Encyclopedia of Science and Technology فلا هي تخاطب الفنيين المتخصصين ولا هي تخاطب عامة الناس وإنما تتوسط بحيث تناسب الجامعيين الذين يريدون أن يتزودوا بمعلومات عن الموضوعات العلمية والتكنولوجية، كما نصّت على ذلك في مقدمتها.

كذلك تتفاوت تلك الموسوعات في نقط التركيز التي تهتم بها كل واحدة منها. فالـ Encyclopaedia of Religion and Ethics قوية في مجال الديانات المقارنة، وموسوعات الفنون والفلسفة والعلوم الاجتماعية والإحصاء ودوائر المعارف اليهودية التي ذكرناها تركز على التراجم بينما لا تحفل دائرة معارف العلوم والتكنولوجيا بشيء منها. وتعتبر هذه الموسوعة الأخيرة نموذجاً ومثالاً لأوجه الضعف والقوة في الموسوعات المتخصصة. فعلى الرغم من امتيازها في تغطية علوم الرياضة والنبات إلا أنها ضعيفة في موضوعات أخرى كالهندسة، قاصرة في مجال التراجم والنواحي التاريخية، فضلاً عما يؤخذ عليها من تحيز وتركيز على كل ما هو أميركي.

ولسنا نريد أن نتتبع نقط القوة والضعف في الموسوعات المختلفة لأننا لم نحص كل الموسوعات من ناحية، ولأن استقصاء هذا الموضوع يتطلب حديثاً طويلاً لا تسمح به طبيعة هذه الدراسة.

وكما تتفاوت الموسوعات العامة في السمات الخاصة التي تميز كلاً منها عما سواها، كذلك تتفاوت الموسوعات المتخصصة فيما بينها، فبعضها توقع فيها المقالات بالأسماء الكاملة لكاتبيها مثل: Encyclopedia of Education, Encyclopedia of the Social Sciences, Encyclopedia of Computer Sc. and Technology, International Encyclopedia of Statistics, Universal Jewish Encyclopedia) وبعضها الآخر مقالاته غير موقعة كما هو الحال في Larousse Encyclopedia of Astronomy.

ومع أن معظم الموسوعات التي ذكرناها تختم مقالاتها بقوائم ببليوجرافية بأهم ما كتب في موضوع المقال[1]، إلا أن بعضها يهتم بهذه البليوجرافيات اهتماماً كبيراً ويفصّل فيها تفصيلاً شديداً كما تفعل:

— Encyclopedia of Computer Science and Technology.[2]
— Encyclopedia of Philosophy.
— Encyclopedia of Religion and Ethics.
— Catholic Encyclopedia.
— Encyclopaedia Judaica.

وبعضها الآخر لا يكتفي بذكر الكتب وإنما يذكر مقالات الدوريات أيضاً في تلك القوائم الببليوجرافية كما هو الشأن في:

— Encyclopedia of World Art.
 Graw-Hill Eneyclopedia of Science and Technology.
— Encyclopedia of Computer Science and Technology.
— International Encyclopedia of Statistics.

وتتفاوت الموسوعات المتخصصة أيضاً في استعمالها للإحالات وإلى أي حدّ تتوسع في هذا الاستعمال، ففي

— Encyclopedia of Philosophy.
— Universal Jewish Encyclopedia.

استعملت الاحالات بكثرة، أما في

— Encyclopedia of Biological Sciences.
— Encyclopeaedia of Islam.

فلا تلقانا الإحالات إلا نادراً. وقد نصت Encyclopedia of Computer Sc. and Technology في مقدمتها على أنها لن تستخدم الإحالات إلا في أضيق الحدود.

ويعتبر استخدام الصور واللوحات والرسوم التوضيحية مظهراً آخر من مظاهر التفاوت بين الموسوعات، فبينما لا يكاد يستعملها البعض مثل

(١) بعضها ليس فيه بيليوجرافيات مثل: Larousse Encyclopedia of Astronomy.
(٢) بلغت بعض البيليوجرافيات في هذه الموسوعة ١٣٠ مرجعاً ما بين كتاب ومقال.

دائرة المعارف الإسلامية، نجد البعض الآخر يسرف في استعمالها حتى لتصبح من سماته المميزة كما نرى في:

— Encyclopedia of World Art.
— Encyclopedia of Science and Technology.
— Larousse Encyclopedia of Astronomy.
— Concise Encyclopaedia of Philosophy and Philosophers.
— Encyclopaedia Judaica.
— Universal Jewish Encyclopedia.

والفئة الثانية: من الموسوعات المتخصصة هي تلك التي تقع في مجلد واحد ويحررها مؤلف واحد أو عدد محدود جداً من المؤلفين. وهي لا تتفق مع الموسوعات سالفة الذكر إلا في طريقة عرض مادتها العلمية وطريقة الترتيب. ومن أمثلتها:

— Science for Everyman Encyclopedia, by J.G. Cook. Watford, Herts., 1962.
— Engineering Encyclopedia, by F.D. Jones and P.B. Schubert. 3rd ed. N.Y., 1963.
— Collins Music Encyclopedia, by J.A. Westrup and F. L.I. Harrison. London, 1959.
— Encyclopedia of Parliament, by N. Wilding and P. Laundy. London, 1958 (2 nd ed. 1961).

ومع أن دوائر المعارف المتخصصة بفئتيها أكثر تفصيلاً وأكثر فائدة بالنسبة للباحث المتخصص، فإنها يعاب عليها ما يعاب على دوائر المعارف العامة من أنها تعجز عن ملاحقة الجديد في العلوم السريعة التطور. ومن أجل هذا لا بد من إدراك حدود الفائدة المرجوة من دوائر المعارف بصفة عامة في مجال البحث العلمي.

ويلحق بدوائر المعارف الأجنبية نوع آخر من المراجع هو المعاجم ذات الصبغة الموسوعية. ونقول ذات الصبغة الموسوعية تمييزاً لها عن

المعاجم اللغوية التي تعنى بدلالات الألفاظ ونطقها وتطورها اللغوي. ومن هذه المعاجم:

— The Oxford Classical Dictionary.
— Black's Medical Dictionary.
— Dictionary of Philosophy and Psychology, ed. by James Mark Baldwin.
— Dictionary of Sociology, ed. by H.P. Fairchild.

وهذه الأعمال ونظائرها لم تأخذ من المعاجم إلا الترتيب الهجائي والتعريف بالمصطلحات. وفيما عدا ذلك فهي إلى الموسوعات أقرب منها إلى المعاجم لأنها لا تقف عند الدلالات اللغوية للألفاظ وإنما تعطينا دلالاتها الاصطلاحية في مقالات تختلف طولاً وقصراً وتوقع بأسماء كاتبيها في معظم الأحيان، وقد تذيَّل بقوائم ببليوجرافية كما في:

— Hastings, James (ed.): Dictionary of the Bible.
— Sarbacher. R.I.: Encyclopedic Dictionary of Electronics and Nuclear Engineering.

وانفرد Dictionary of Philosophy and Psychology بأنه خصص المجلد الثالث والأخير منه لتجميع ببليوجرافي مفصل عن الفلسفة وعلم النفس وما يتصل بهما من العلوم. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا المجلد هو أهم مجلدات ذلك المعجم الموسوعي.

* * *

ولم تعرف اللغة العربية الموسوعات بمفهومها السابق إلا في أواخر القرن الماضي. والموسوعة العربية العامة الوحيدة الجديرة بهذا الاسم هي «دائرة معارف القرن العشرين» التي ألفها محمد فريد وجدي في عشرة مجلدات(١) وهي على رغم مكانة مؤلفها في الفكر العربي المعاصر إلا أن

---

(١) صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩١٠ ـ ١٩١٩؛ والطبعة الثانية سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥؛ والطبعة الثالثة سنة ١٩٧١ عن دار المعرفة، بيروت.

شخصاً من الأشخاص مهما أوتي من العلم والمعرفة لا يمكن أن يعالج الموضوعات المختلفة بدرجة واحدة من الكفاءة. فكيف يتأتى لمن درس الأدب ـ مثلاً ـ أن يكتب عن الطبيعة أو الكيمياء أو الهندسة أو الطب كما يكتب عن الأدب واللغة؟ هو مضطر إذن أن ينقل وأن يلخص وأن يكون عالة على الآخرين في كثير من فروع المعرفة، بل إنه قد لا يستطيع أن يقيِّم الكتابات المختلفة في الموضوعات البعيدة عن تخصصه وأن يميز فيها بين الغث والثمين.

وليس ذلك تقليلاً من شأن صاحب الموسوعة وإنما هو تقرير لواقع البشر ومواجهة صريحة لموقف الإنسان المعاصر من المعرفة في عصر لم يعد فيه في مقدور بشر أن يلمّ بجميع أطرافها، فضلاً عن أن يتخصص فيها أو يكتب فيها كتابة المتخصصين.

وإذا كانت هذه هي أبرز نقاط الضعف في تلك الموسوعة، فثمة نقطة ضعف أخرى تضاف إليها وهي أنها في معالجتها للموضوعات المختلفة لم تذكر شيئاً عن مراجع تلك الموضوعات.

وفي اللغة العربية موسوعة أخرى لم يكتب لها أن تكتمل حتى الآن وهي «دائرة المعارف» التي بدأها بطرس البستاني سنة ١٨٧٦ وأصدر منها ستة مجلدات ثم أتمها من بعده أبناؤه بمساعدة ابن عمهم سليمان البستاني فصدر منها حتى المجلد الحادي عشر الذي نشر سنة ١٩٠٠ والذي ينتهي بكلمة «عثمانية» ثم شرعوا في المجلد الثاني عشر ولكنهم توقفوا ولم يتموه. وقد حاول فؤاد البستاني إنشاء موسوعة جديدة تتخذ من تلك الموسوعة نواة لها، وصدر الجزء الأول منها سنة ١٩٥٦ ولكنها لم تكتمل هي الأخرى، فضلاً عن أنها تعرضت لهجوم شديد واتهمت بأن مقالاتها لم يعهد بها إلى ذوي الاختصاص.

وقد ظهر في السنوات الأخيرة عدد من الموسوعات العربية لا بأس به، ولكن هذه الموسوعات لا تخرج ــ في جملتها ــ عن حدود الترجمة الدقيقة بالنسبة للموسوعات المتخصصة «كدائرة المعارف الإسلامية» Encyclopaedia of Islam و«الموسوعة الطبية الحديثة» (Modern Medical Encyclopedia، أو الترجمة مع شيء من التصرف والاختصار في الموسوعات العامة التي تناسب الشباب وصغار الدارسين «كدائرة معارف الناشئين» التي تعتمد على (The Younger Children Encyclopedia، و«الموسوعة العربية الميسرة» التي تستمد مادتها من موسوعة كولومبيا المختصرة، و«الموسوعة الذهبية» التي تستقي من Golden Press «وتهدف إلى خدمة الناشئة»[1] كما تقول في مقدمتها. و«التصرف» في هذه الفئة الأخيرة من الموسوعات يعني التركيز على الموضوعات والشخصيات التي تهم القارىء العربي، والتفصيل النسبي فيها، والإيجاز أو الحذف في المواد أو المعلومات التي لا تهم جمهور القراء. وتفصِّل لنا «الموسوعة العربية الميسرة» هذه النقطة فتقول:

«وترخصنا في الحذف والإضافة على أوسع نطاق بحيث خرجت مجموعة المواد ونحو أربعين في المائة منها جديد بحت أو معدل تعديلاً جوهرياً، أما الستون في المائة أو أقل الباقية فهي المعلومات العالمية حول المسميات العلمية خاصة مثل ما كتب عن مادة أيدروجين أو ذرَّة، أو هي المعلومات التي وجدنا أن ما كتب عنها في كولمبيا أو كولمبيا ڤايكنج دسك فيه الكفاية، كما أن كثيراً من المواد العلمية ذاتها خضع للإضافة والحذف. وأما المواد العربية أو الإسلامية في العلوم والأدب والفن فإن أكثر من تسعين في المائة منها جديد كلّ الجدة»[2].

---

(١) الموسوعة الذهبية؛ ص٣ طبعة مزيدة ومنقحة. القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧١.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، المقدمة ج ١ صفحة (ي). بيروت، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ١٩٨٠.

ونظراً لأن هذه الفئة من الموسوعات تعتمد على أصول أجنبية، ونظراً لأنها موجهة أصلاً لصغار السن، فإن مقالاتها لا توقَّع بأسماء كاتبيها ولا تذيَّل بقوائم ببليوجرافية. وفي مقابل ذلك نجدها تتوسع في استخدام الصور والخرائط والرسوم التوضيحية.

وإلى جانب هاتين الفئتين من الموسوعات المعربة بدقة أو بتصرف، هناك موسوعات أخرى ألفها أفراد، بعضها عام «كدائرة المعارف الحديثة» التي وضعها أحمد عطية الله وصدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٥٢ ثم خضعت للتعديل والاضافة حتى بلغت أكثر من أربعة أضعاف الطبعة الأولى في طبعتها الثانية التي صدر الجزء الأول منها سنة ١٩٧٥ والجزء الثاني سنة ١٩٧٩ ولم يصل إلا إلى مادة «سبيل». والبعض الآخر يقتصر على فرع من فروع التخصص «كالموسوعة في علوم الطبيعة» التي ألفها غالب إدوارد وصدرت في بيروت سنة ١٩٦٥/١٩٦٦.

وإذا لم يكن للغة العربية باع طويل في الموسوعات بمفهومها الحديث، فإنها تتمتع بثراء عظيم في الكتب الموسوعية التي عرفتها منذ ما يقرب من اثني عشر قرناً من الزمان. فكتابات الجاحظ (المتوفي سنة ٢٥٥ هـ) و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (ـ ٢٧٦) و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (ـ ٣٢٨) و«نهاية الأرب» للنويري (ـ ٧٣٢) و«صبح الأعشى» للقلقشندي (ـ ٨٢١) وكثير غيرها كتب موسوعية وليست موسوعات. والفرق بين الموسوعات والكتب الموسوعية أن الموسوعات يشترك في تحريرها عدد ضخم من المتخصصين، يعالج كل منهم موضوعاً أو أكثر في مجال تخصصه وترتب المقالات ترتيباً هجائياً يساعد الباحث على الوصول إلى ما يريد بسهولة ويسر. أما الكتاب الموسوعي فهو الذي يؤلفه فرد واحد ويعالج فيه ألواناً مختلفة من المعارف بحيث يصعب تصنيفه تحت علم من العلوم أو موضوع من الموضوعات. وهو لا يفتت المعرفة إلى أبسط

جزئياتها، ولا يلتزم بالترتيب الهجائي في عرض موضوعاته، وإنما يتناول موضوعات واسعة يقسم كلاً منها إلى أقسام أصغر متخذاً الوحدة الموضوعية أساساً في كل قسم من تلك الأقسام بصرف النظر عن الترتيب الهجائي.

فكتاب «العقد الفريد» ــ مثلاً ــ ينقسم إلى خمسة وعشرين باباً يتناول كل منها موضوعاً من الموضوعات كالسلطان والحروب والنَّسب وتواريخ الخلفاء وأيام العرب والمواعظ والتعازي والمراثي وفضائل الشعر ومقاطعه وأعاريضه وعلل القوافي والطبائع والنساء والأطعمة والأشربة والفكاهات والمُلح وغيرها. وفي كل باب من هذه الأبواب يختلط التاريخ بالأدب وباللغة والنحو والعروض والتقاليد والعادات الاجتماعية وغيرها.

وكتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري يتصور كثير من الدارسين أنه كتاب أدبي كما يوحي بذلك عنوانه وهو في الحقيقة موسوعة ضخمة في اثنين وثلاثين مجلداً تنقسم إلى خمسة فنون رئيسية كل منها مقسم إلى خمسة أقسام وكل قسم مقسم إلى أبواب وفصول. والفنون الخمسة الرئيسية هي:

١ ــ السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية، وبعبارة أخرى: الجغرافيا الفلكية والوصفية.

٢ ــ الإنسان وما يتعلق به من النواحي الجسمية والخلقية والنفسية، ويتناول موضوعات شتى كالإمامة وعلاقة الحاكم بالمحكوم، والدواوين وأنواعها وطرق العمل بها، والعقود والمكاتبات المالية والشرعية.

٣ ــ الحيوان الصامت وأنواعه.

٤ ــ النبات: أصله وأنواعه.

٥ ــ التاريخ: من لدن آدم إلى ظهور السلاجقة والتتار.

وهذه الموضوعات الخمسة التي يعالجها الكتاب لا تدع مجالاً لقائل بأن الكتاب أدب محض، ففيه التاريخ والجغرافيا والفلك والنبات والحيوان وإن سرى فيه تيار أدبي يظهر حيناً ويختفي حيناً آخر. وهكذا نستطيع أن نقول مطمئنين إنه أقرب إلى الكتب الموسوعية منه إلى كتب الأدب.

ومثل هذه الكتب الموسوعية في الثقافة العربية حينما تعدُّ لها الكشافات التحليلية تصبح مصادر أساسية لا يستغني الدارسون والباحثون عن الرجوع إليها والإفادة منها في شتى مجالات المعرفة.

ولم تعرف اللغة العربية الكتب الموسوعية فحسب، وإنما عرفت أيضاً المعاجم الموسوعية منذ عصر مبكر. ففي النصف الأول من القرن السابع الهجري ألف ابن البيطار كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» الذي جمع فيه أسماء النباتات والحيوانات والمعادن التي تتخذ منها الأدوية والعقاقير، وأوردها في ترتيب هجائي دقيق[1]. وكل مادة يعرِّف بها ويذكر أسماءها في اللغات المختلفة، ثم يصفها وصفاً دقيقاً، ويبين أين توجد، وينقل ما قاله اليونان والعرب في منافعها ومضارها، ويتحدث عن طريقة تحضير الدواء منها وطريقة استعماله، ولا يفوته أن ينبه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط من السابقين نتيجة لاعتمادهم على الصحف والنقل واعتماده هو على التجربة والمشاهدة.

وعلى غرار كتاب ابن البيطار ألف التهانوي كتابه «كشاف اصطلاحات الفنون» في سنة ١١٥٨ هـ وألف الأحمد نكَري كتابه «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون» الملقب بدستور العلماء في سنة ١١٧٣. والكتابان يعرِّفان بمصطلحات مختلف العلوم والفنون في ترتيب هجائي مع تقديم الواو على الياء، وإن كان الكتاب الأول ينفرد بمقدمته التي يعرِّف

---

(١) مع تقديم حرف الواو على حرف الهاء.

فيها العلوم المختلفة، وبأنه يوزع مواده على أبواب وفصول جاعلاً الباب لأول الحروف الأصلية والفصل لآخرها.

ومثل هذه الكتب تدل على أن اللغة العربية لم تتخلف عن الركب في مجال التأليف الموسوعي. فهي وإن كانت قد تأخرت في عمل موسوعات بالمفهوم الحديث، إلا أنها قد عرفت المعاجم الموسوعية قبل أن تعرفها الدول المتقدمة بمئات السنين، وخلفت تراثاً موسوعياً يضرب في التاريخ بجذور بعيدة وهو تراث ما زالت ظلاله وارفة وقطوفه دانية رغم بعد العهد وتعاقب الأزمان.

المعاجم

ويطلق لفظ «المعاجم» على تلك الكتب التي تجمع الألفاظ في ترتيب هجائي فتشرحها وتوضح طريقة نطقها وتبين اشتقاقها وتذكر معانيها المختلفة واستعمالات كل منها مع التمثيل لكل استعمال منها. وقد تتجاوز بعض المعاجم هذه الحدود المألوفة وتقدم معلومات موسوعية.

ومعظم المعاجم الحديثة ليست من عمل فرد واحد وإنما هي حصيلة جهود مجموعات ضخمة من العلماء، ويكون لكل معجم منها هيئة مشرفة على إعداده تتولى نشره وإعادة النشر كلما دعت الحاجة إلى ذلك، شأنه في ذلك شأن أي موسوعة من الموسوعات.

وكما انفردت اللغة العربية بأن موسوعاتها وكتبها الموسوعية من تأليف فرد واحد، كذلك انفردت هذه اللغة بمعاجمها الضخمة التي قام بتأليفها الأفراد لا الجماعات منذ القرن الثاني وحتى القرن الثاني عشر للهجرة، ثم انتقل التأليف المعجمي في العصر الحديث إلى الهيئات العلمية كمجامع اللغة العربية التي اهتمت بتجميع الألفاظ الحديثة وتقنينها وتحديد مدلولاتها بالإضافة إلى الألفاظ القديمة التي حملت معاني جديدة عبر القرون.

وربما لم تظفر لغة من اللغات بما ظفرت به اللغة العربية من ثراء في المعاجم وتنوع في مناهجها وطرق تبويبها. والذين يتعاملون مع تراثنا العربي يستطيعون أن يتبينوا ثلاثة أنواع متميزة من المعاجم هي:

(أ) معاجم الألفاظ.
(ب) معاجم المعاني.
(ج) معاجم الألفاظ الدخيلة أو المعربة.

أما معاجم الألفاظ فقد مرت بأطوار ثلاثة يمثل الطور الأول منها الخليل بن أحمد (المتوفى سنة ١٧٥ هـ) صاحب فكرة المعاجم في اللغة وأول من واجه مشكلة ترتيب مواد المعجم. وقد حسم هذه المشكلة على ضوء ثقافته الموسيقية فابتدع الترتيب الصوتي للحروف مبتدئاً من أقصى الحلق إلى أطراف الشفاه، وسمي كتابه ــ أو هكذا سُمِّي فيما بعد ــ باسم أول أبوابه وهو باب العين وذلك من قبيل تسمية الكل باسم الجزء، وهي طريقة معروفة ومتبعة في تسمية بعض سور القرآن الكريم كسورة البقرة وسورة النمل وسورة الحجرات وغيرها، ثم اتبعت بعد ذلك في بعض الكتب العربية ككتب الحماسة.

وفي كل باب من أبواب الكتاب يبدأ الخليل بالثنائي من الألفاظ ثم الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي، وهو يعتمد الأبنية أساساً في الترتيب ويجمع التقاليب المختلفة لكل بناء في موضع واحد مرتبة فيما بينها ترتيباً صوتياً أيضاً. فمثلاً نجد عقَل وعلقَ ولقَع ولعقَ وقلع وقَعل تأتي جميعاً تحت «عقل». وذلك سبب جوهري من أسباب صعوبة البحث في هذا المعجم.

ولقد طبق الخليل في كتابه هذا مبدأ القياس في اللغة تطبيقاً دقيقاً كان من نتيجته ما نراه في الكتاب من اشتقاقات لألفاظ لا وجود لها في اللغة.

وليس معجم «العين» هو المعجم الوحيد الذي سار على هذه الطريقة في الترتيب، فقد تبعه بعض أصحاب المعاجم مثل الأزهري (ـ ٣٧٠) في «تهذيب اللغة» وابن سيدة (ـ ٤٥٨) في «المحكم».

وخلال القرن الرابع الهجري تبذل محاولات للتخفيف من القيدين اللذين وضعهما الخليل واللذين يعوقان استخدام معاجم هذه المدرسة وهما الترتيب الصوتي للمواد وجمع التقاليب في موضع واحد. وهذه المحاولات يمثلها كتاب «الجمهرة» لابن دريد (ـ ٣٢١) وكتاب «مقاييس اللغة» لابن فارس (ـ ٣٩٠). فأما أولهما فقد تحرر من الترتيب الصوتي واتبع الترتيب الهجائي ولكنه حافظ على مبدأ التقسيم حسب الأبنية وعلى جمع التقاليب في موضع واحد، وأما ثانيهما فقد رتب مواده هجائياً وطرح مبدأ جمع التقاليب جانباً ولم يبق من منهج الخليل في الترتيب غير نظام الأبنية. وعلى خلاف ابن دريد الذي اتخذ الأبنية (كالثلاثي والرباعي) أساساً للترتيب وتحت كل بناء ترتب المواد هجائياً حسب أصولها، نجد ابن فارس يتخذ الترتيب الهجائي للأصول أساساً له فيجعل لكل حرف من حروف الهجاء فصلاً يسميه كتاباً، ثم يقسم المواد فيه على حسب الأبنية إلى ثنائي مضاعف فثلاثي فما زاد على الثلاثي من المجرد.

وقد اتبع المؤلفان طريقة الدوران مع الحروف، بمعنى أن أي حرف لا يليه الهمزة فالباء فالتاء وإنما يليه ما بعده في الترتيب الهجائي، فالباب الخاص بحرف الجيم ـ مثلاً ـ لا يبدأ بالجيم مع الهمزة ثم مع الباء وإنما يبدأ بالجيم مع الحاء ثم الخاء وهكذا. فأين إذن أجد كلمة مثل «جبّ»؟

عند صاحب «الجمهرة» لا توجد مشكلة لأنه جمع التقاليب في موضع واحد ومن ثم يرد اللفظ تحت الباء في «بجّ». أما ابن فارس فكان عليه أن يضع حلاً لهذه المشكلة، ولهذا نراه يمضي مع حرف الجيم ـ مثلاً ـ بادئاً من جَحّ حتى يصل إلى الجيم مع الواو (جوّ) فينتقل بعدها إلى الجيم

مع الهمزة ثم مع الباء فالتاء وهكذا حتى يصل إلى النقطة التي بدأ من عندها.

وهذان المعجمان يمثلان حلقة وسطى بين مدرسة الخليل والمدرسة التالية من مدارس معاجم الألفاظ في اللغة العربية والتي يمثلها الجوهري (ـ٣٩٨) في «الصحاح»، وابن منظور (ـ٧١١) في «اللسان»، والفيروزأبادي (ـ٨١٧) في «القاموس»، والزبيدي (ـ١٢٠٥) في «تاج العروس». فهؤلاء الأربعة يمثلون طوراً جديداً من أطوار التأليف المعجمي وهو طور التحلل من قيود الترتيب التي وضعها الخليل واصطناع الترتيب الهجائي الذي يسهل استعماله والاستفادة منه. ففي هذه المعاجم ترتب المواد ترتيباً هجائياً بعد تجريدها من الزوائد، وتتخذ أواخر الكلمات أساساً لهذا الترتيب على اعتبار أن لام الفعل أثبت من فائه وأن الشعراء يلجأون إلى المعاجم ـ عادة ـ بحثاً عن ألفاظ ذات رويّ معين حتى تستقيم مع قوافي قصائدهم. وهكذا خصصت تلك المعاجم لكل حرف من حروف الهجاء باباً من أبوابها وقسمت مادته إلى فصول بحسب أوائل الألفاظ في ترتيب هجائي دقيق. فمثلاً نجد كلمة «جاهد» تحت «جهد» في باب الدال فصل الجيم، و«انتصر» تحت «نصر» في باب الراء فصل النون، وهكذا.

تلك هي أهم السمات التي تشترك فيها هذه المدرسة من مدارس التأليف المعجمي، ويبقى لكل معجم منها خصائصه التي ينفرد بها عما سواه. فالصحاح[1] ـ مثلاً ـ يقتصر على ما صح من ألفاظ اللغة كما يدل عليه عنوانه، ويعنى بمسائل النحو والصرف، ويحرص على جمال الأسلوب والإيجاز في الشرح والتفسير، ولا يهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها، و«لسان العرب» أضخم المعاجم العربية وأوفاها[2] وهو يحرص على ذكر المراجع

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية، وشهرته الصحاح.

(٢) يقع في ٢٠ مجلداً.

والمصادر التي يستقي منها مادته ويكثر من الشواهد والاستطرادات الأدبية، و «القاموس المحيط» يثبت كثيراً مما فات الجوهري في الصحاح، ويضبط الكلمات ـ وخاصة الأسماء ـ بالحركات والحروف ويقدم الفصيح والمشهور على النادر والغريب، كما يستعمل بعض المختصرات توخياً للإيجاز مثل: ع = موضع، د = بلد، ة = قرية، ج = جمع. أما «تاج العروس من جواهر القاموس» فيهتم بشرح الأعلام والأماكن شرحاً مفصلاً، ويذكر المعاني المجازية وبعض الألفاظ العامية، ويذكر في آخر كل مادة استدراكاته على صاحب القاموس.

ونظراً لأهمية معاجم هذه المرحلة فقد انبثقت عنها معاجم كثيرة نذكر منها على سبيل المثال «مختصر العين» للزبيدي و«مختار الصحاح» لمحمد بن أبي بكر الرازي و«تهذيب الصحاح» لمحمود الزنجاني.

كذلك عملت عدة محاولات لإعادة ترتيب مواد بعض هذه المعاجم بحيث ترتب بأوائل الكلمات تيسيراً على الطلاب وصغار الدارسين، ومن أمثلة ذلك ما فعله محمود خاطر في «مختار الصحاح» وطاهر الزاوي في «مختار القاموس المحيط» وبطرس البستاني في «محيط المحيط» و«قطر المحيط».

وكان الطور الثالث الذي مرت به معاجم الألفاظ في اللغة العربية هو الترتيب الهجائي الدقيق بأوائل الألفاظ بعد تجريدها من الزوائد، وهي الطريقة التي تتبع في المعاجم الحديثة مثل المعجمين الكبير والوسيط اللذين أصدرهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وأقدم نموذج لهذا النوع كتاب «أساس البلاغة» للزمخشري (ـ٥٣٨) وهو لا يهتم بتفسير معاني الألفاظ بقدر ما يهتم بإيراد نصوص أدبية تدل على معانيها المختلفة مبتدئاً بالمعاني الحقيقية يليها المعاني المجازية، ولذا تكثر فيه النصوص وتغزر الشواهد.

فإذا تركنا معاجم الألفاظ إلى النوع الثاني من المعاجم وهو معاجم المعاني وجدناها لا تجمع ألفاظ اللغة وتشرحها وتوضح معانيها وإنما هي تورد المعنى وتذكر مختلف الألفاظ التي يعبِّر بها العرب عنه مع توضيح استعمالات كل منها. ويمثل هذا النوع من المعاجم كتاب «فقه اللغة» للثعالبي (ـ ٤٢٩) و«المخصص» لابن سيده (ـ ٤٥٨). وكلاهما مقسم إلى أبواب عامة وتحت كل باب رتبت المعاني ترتيباً يتدرج من العام إلى الخاص. فباب الأطعمة ـ مثلاً ـ ينقسم إلى فصول يختص كل منها بنوع من أنواعها. ولا يخفى على أحد أن طريقة الترتيب هذه مجهدة للباحثين الذين يجدون مشقة بالغة في استخدام هذين المعجمين ما لم يكن لكل منهما كشاف تحليلي مرتب ترتيباً هجائياً دقيقاً.

ونأتي إلى النوع الثالث من أنواع المعاجم وهو معاجم الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية ويمثلها كتاب «المعرَّب» للجواليقي (ـ ٥٤٠) و«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي (ـ ١٠٦٩) وهما يحصيان الألفاظ التي أخذها العرب عن غيرهم واستعملوها في لغتهم ويرتبانها ترتيباً هجائياً بالحرف الأول فقط (بصرف النظر عن الأصلي والزائد)، وأمام كل لفظ تذكر لغته الأصلية ومعناه وأمثلة على استعماله بهذا المعنى.

تلك هي الأنواع الثلاثة من المعاجم التي عرفتها اللغة العربية منذ أقدم عصورها إلى الوقت الحاضر. وفي العصر الحديث ظهرت معاجم متخصصة تعرِّف بمصطلحات علم واحد أو مجموعة متصلة من العلوم مثل:

ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، لمصطفى الشهابي.

ـ معجم المصطلحات العلمية، لعبد العزيز محمود.

ـ قاموس المصطلحات الرياضية، لحسن ذهني علي.

ـ معجم الموسيقى العربية، لحسين علي محفوظ.

ـ معجم المصطلحات الجغرافية، ليوسف توني.

وظهرت أيضاً المعاجم المزدوجة اللغة والتي تكون اللغة العربية الطرف الأول فيها مثل:

ـ القاموس العصري (عربي ـ انجليزي)، لإلياس انطون إلياس.

ـ مستدرك المعاجم العربية (عربي ـ فرنسي)، تأليف أ. ر. دوزي.

ـ معجم اللغة العربية الكتابية الحديثة (عربي ـ الماني)، لهانس وبر

ـ معجم صباغ (عربي ـ اسباني)، لميشيل صباغ.

ـ القاموس الحديث (عربي ـ تركي)، لحسين آتاي.

ـ فرهنك روز، أو قاموس اليوم (عربي ـ فارسي)، لكمال موسوي.

ومن هذه الفئة الأخيرة معاجم قصرت نفسها على فرع من فروع التخصص وقدمت مصطلحاته في اللغات الأجنبية ومقابلاتها العربية مثل:

ـ القاموس السياسي والدبلوماسي (انجليزي ـ عربي)، لشوقي السكري وآخرين.

ـ المعجم التجاري الاقتصادي (انجليزي ـ عربي)، لقسطنطين تيودوري.

ـ المعجم الطبي الحديث (انجليزي ـ عربي)، لميلاد بشاي.

ـ المعجم الفلكي (انجليزي ـ عربي)، لأمين معلوف.

ـ المعجم القانوني (انكليزي ـ عربي)، لحارث سليمان الفاروقي.

ـ المعجم العسكري (فرنسي ـ عربي، وانجليزي ـ عربي)، الصادر عن وزارة الدفاع السورية.

ـ معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية، لمصطفى الشهابي.

ـ معجم المصطلحات المكتبية باللغات العربية، الانجليزية، الفرنسية، الألمانية، الاسبانية، الروسية، إعداد أنتوني طومسون وترجمة محمد أحمد حسين وأحمد كابش ومحمود الشنيطي.

* * *

فإذا تركنا اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية الحديثة وجدنا فيها هذين النوعين من المعاجم: المعاجم اللغوية التي تتناول ألفاظ لغة معينة على إطلاقها، والتي تعنى بطريقة نطق الألفاظ واشتقاقها وبيان مختلف معانيها، والمعاجم التي تقتصر على مصطلحات فن واحد من فنون المعرفة.

ويمثل النوع الأول من المعاجم أضخم معجمين في اللغة الإنجليزية وهما:

— The Oxford English Dictionary.

— Webster's New International Dictionary of English Language.

وأولهما بريطاني والثاني أميركي، وكلاهما يبين أصول الألفاظ وأبنيتها وتصريفاتها وطريقة نطقها ومعانيها المختلفة التي اكتسبتها عبر السنين مع الاستشهاد على هذه المعاني بأقوال ونصوص أدبية.

ويمتاز المعجم الأول بأنه أعظم شمولاً وأشد تفصيلاً(١) وأكثر عناية ببيان التطور التاريخي للألفاظ التي دخلت اللغة الإنجليزية منذ منتصف القرن الثاني عشر، مع تحديد تاريخ دخولها والاستعمالات التي بقيت لها

(١) فهو يقع في ١٣ مجلداً (طبعة سنة ١٩٣٣).

وبيان مرادفاتها، يستوي في ذلك الألفاظ العامة والألفاظ العلمية المتخصصة

أما المعجم الثاني فيمتاز بأنه لا يقتصر على الألفاظ الفصيحة وإنما يضيف إليها كثيراً من الألفاظ العامية والحوشية التي بطل استعمالها (وإن كانت الطبعة الثالثة قد بدأت تستبعد الكلمات الميتة)، كما يذكر ألفاظاً علمية وفنية وأخرى أجنبية، فضلاً عن أنه يبين النطق البريطاني والاستعمالات البريطانية للألفاظ.

ونظراً لضخامة هذين المعجمين وأهميتهما فقد صدرت منهما طبعات مختصرة تناسب المستويات المختلفة للدارسين، فهناك بالنسبة للأول:

— The Shorter Oxford English Dictionary.
— The Concise Oxford Dictionary.

وبالنسبة للثاني:

— Webster's New World Dictionary of the American Language.
— Webster's New College Dictionary.

وأما النوع الثاني من المعاجم الأجنبية وهو المعاجم المتخصصة فبعضها تغلب عليه الصفة المعجمية مثل:

— Dictionary of Biological Terms.
— Computer Dictionary and Handbook.
— International Dictionary of Physics and Electronics.
— Dictionary of The Social Sciences (Unesco).
— Glossary of Geographical Terms.

وبعضها الآخر أقرب إلى الموسوعات منه إلى المعاجم لأنه لا يهتم بالأصوات والمقاطع والاشتقاقات وإنما يهتم بالمعاني الاصطلاحية للألفاظ ويقدم معلومات موسوعية عنها[1] كما هو الحال في:

---

(١) ولعل هذا هو ما يبرر حديثنا عن المعاجم الموسوعية مع الموسوعات.

— Dictionary of Applied Chemistry.
— Black's Medical Dictionary.
— Grove's Dictionary of Music and Musicians.

ومن ثم ينبغي أن نحتاط أمام كلمة «معجم» Dictionary و«موسوعة» Encyclopedia لا أقول في اللغات الأوروبية وحدها وإنما في اللغة العربية أيضاً. فكثير من الكتب التي يطلق عليها «معاجم» لم تأخذ من المعاجم إلا الترتيب الهجائي لمادتها كما في الأمثلة الثلاثة السابقة وكما في Dictionary of American Scholars وكما في «معجم الأدباء» و«معجم البلدان» لياقوت الحموي[1]. وبعض الكتب التي تحمل في عناوينها كلمة «موسوعة» مثل «موسوعة علم النفس والتحليل النفسي» Encyclopedia of Psychology and Psycho -analysis لعبد المنعم الحفني و Corkill's Concise Building Encyclopaedia هي في الحقيقة إلى المعاجم أقرب وبها أَوْلَى.

وفي المعاجم المتخصصة على وجه العموم ينبغي أن نتنبه إلى الفوارق القائمة بين الاستعمال البريطاني والاستعمال الأميركي للألفاظ الانجليزية.

فمثلاً نجد أن Dictionary of Education يعطي الألفاظ بمدلولاتها الأميركية، بينما Dictionary of Biological Terms يعطي المفاهيم البريطانية للألفاظ والمصطلحات.

أما International Dictionary of Physics and Electronics فهو ــ بحكم نزعته الدولية ــ ينبّه إلى الخلافات القائمة بين استعمالات البريطانيين والأميركيين.

---

(١) فأولهما في تراجم الأدباء، والثاني أقرب إلى الأدلة الجغرافية التي تعرّف بالبلدان والمواقع الجغرافية في ترتيب هجائي.

وكما توجد معاجم مزدوجة اللغة لغتها الأولى هي العربية، كذلك يوجد في اللغات الأجنبية هذا النوع من المعاجم مثل:

المورد؛ قاموس انكليزي ــ عربي، لمنير بعلبكي.

— Heath's Standard French and English Dictionary.
— Cassell's Italian-English, English-Italian Dictionary.
— The New Cassell's German Dictionary: German-English, English-German.

وإلى جانب تلك المعاجم العامة، توجد معاجم أخرى تقتصر على الألفاظ والمصطلحات في موضوع معين مثل:

— Harrap's French and English Dictionary of Data Processing, by Claude Camile & Michel Dahaine. English-French, French-English.
— Dictionary of Civil Engineering and Construction Machinary and Equipment; English-French, by H. Bucksh.
— Dictionary of Nuclear Physics; English- German-French- Russian, by R. Sube.
— Glossary of Terms in Official Statistics; English- French, French-English, by, J.W. Nixon.

وطبيعي أن تكون هذه الفئة الأخيرة أنفع للباحثين المتخصصين من سابقتها لأن المعاجم العامة المزدوجة اللغة أو المتعددة اللغات عادة لا تذكر من المصطلحات العلمية المتخصصة إلا القليل الشائع، على اعتبار أن تلك مهمة المعاجم المتخصصة كلّ في مجال تخصصه.

كتب التراجم

ولعل ميدان التراجم هو أرحب ميادين المراجع وأكثرها ازدحاماً بالمؤلفات فالإنسان هو سيد هذا الكون وصانع الأعاجيب. وليس غريباً أن تكثر الكتب والمصنفات التي تتحدث عن الأعلام والمشاهير في كل زمان وفي كل مكان وفي كل مجال من مجالات المعرفة.

وربما لم تظفر لغة من اللغات بمثل ما ظفرت به اللغة العربية من كتب التراجم. فهناك أولاً كتب التراجم العامة التي لا تلتزم بعصر ولا بيئة ولا موضوع معين وإنما تترجم للمشاهير في كل فن وفي كل بقعة من بقاع الدولة الاسلامية حتى عصر المؤلف. ومن أمثلة هذا النوع كتب الوفيات الثلاثة: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ـ ٦٨١) و «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي (ـ ٧٦٤) و «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ـ ٧٦٤)[١]. وهي تقوم أساساً على تواريخ الوفاة وتستبعد من لم يُعلم تاريخ وفاته على اعتبار أن الشخص الذي يولد ويعيش حياته كلها ثم يموت دون أن يحس بموته أحد ودون أن يذكره معاصروه هو بالتأكيد شخص مغمور لا شهرة له بين الناس ولا يقع

(١) لم يطبع منه إلا الأجزاء الأربعة الأولى من حوالي ثلاثين جزءاً. وقد عمل له ابن تغري بردى (ـ ٨٧٤) ذيلاً سماه «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» يغطي من سنة ٦٥٠ إلى عصره ويضم حوالي ٣٠٠٠ ترجمة.

السؤال عنه كما يقول ابن خلكان، ومن ثم لن يضير أن تسقطه كتب التراجم.

ومع أن كتب الوفيات قد اتخذت هذه القاعدة أساساً لها وجعلت من تاريخ الوفاة باباً ينفذ منه الناس إليها ويجدون عن طريقه مكانهم فيها، إلا أنها لم ترتب التراجم على هذا الأساس وإنما التزمت الترتيب الهجائي للأسماء بغض النظر عن الكنى والألقاب تيسيراً على الباحثين «وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصر وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين» كما يقول صاحب وفيات الأعيان[1]. ومع أن الصفدي قد بدأ بسيرة مختصرة للنبي عليه الصلاة والسلام وأتبعها بتراجم من جاء بعده من المحمدين إلى عصره، إلا أنه لا يلبث أن يعود بعد ذلك إلى الترتيب الهجائي فيلتزمه من حرف «الألف إلى الياء على توالي الحروف»[2].

وثمة سمة أخرى تتفق فيها كتب الوفيات وهي أنها تميل إلى الإيجاز في أغلب التراجم بحكم سعة حدودها الزمنية والمكانية والموضوعية، وإن كان هذا لم يمنع من أن تطول بعض التراجم كترجمة صلاح الدين الأيوبي التي بلغت ثمانين صفحة في «وفيات الأعيان».

وبعد هذه السمات المشتركة بين كتب الوفيات يبقى لكل كتاب منها خصائصه التي ينفرد بها عن الآخرين، فعدد التراجم في «وفيات الأعيان» يتجاوز الثمانمائة، بينما لا يتجاوز الستمائة في «فوات الوفيات». أما «الوافي بالوفيات» فيبلغ عدد التراجم التي يضمها قرابة الأربعة عشر ألفاً.

وقد أغفل ابن خلكان في كتابه معظم الصحابة والخلفاء اكتفاء بما كُتب عنهم واهتم في مقابل ذلك بتراجم معاصريه، كما حرص على ضبط

(١) ج ١، ص ٢٠. ط. بيروت، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ بتحقيق إحسان عباس.
(٢) الوافي بالوفيات، ج ١ ص ٨. ط. استانبول، ١٩٣١ ـ ١٩٦٢.

الأعلام المشتبهة بالحروف، وعلى التعريف بالأمكنة والأشخاص وذكر مختلف الروايات والترجيح بينها. وانفرد «الوافي بالوفيات» بمقدمة قيمة تقع في أحد عشر فصلاً يتحدث فيها الصفدي عن نشأة التواريخ وكيفية كتابتها، وأجزاء الاسم (العلم والكنية واللقب) وطريقة ترتيبها، وأصل كلمة «وفاة» وفوائد التاريخ وآداب المؤرخ، واستعرض فيها كتب التواريخ السابقة التي اعتمد عليها مبتدئاً بالكتب العامة ثم تواريخ الأقاليم وأخيراً تواريخ الأفراد كالخلفاء والقضاة والقراء والشعراء. . . الخ. كما انفرد بأنه يذكر في آخر كل ترجمة أسماء الذين اشتهروا بذلك الاسم ولهم أسماء أخرى، ويحيل إلى الأماكن التي ترجم لهم فيها من الكتاب، والأسماء التي ترجم لهم تحتها.

ويلحق بكتب التراجم العامة هذه كتابان حديثان هما «الأعلام»[1] لخير الدين الزركلي و«معجم المؤلفين»[2] لعمر رضا كحالة. والكتابان يلتزمان الترتيب الهجائي للأسماء[3] ويقدمان تراجم موجزة شديدة الإيجاز في معظم الأحيان، ويتفقان في حرصهما على ذكر سني الميلاد والوفاة بالتاريخين الهجري والميلادي، وفي اهتمامهما بذكر مؤلفات أصحاب التراجم وإن كان الثاني منهما قد جعل التأليف هو المدخل الوحيد إليه، إذ لا مكان فيه إلا لأصحاب التآليف[4] مع أنه يكتفي بذكر خمسة كتب فقط بالنسبة لمن تعددت مؤلفاتهم.

---

(١) صدر في ١٣ مجلداً.

(٢) يقع في ١٥ جزءاً.

(٣) يلتزم «معجم المؤلفين» بالترتيب الهجائي الدقيق، أما «الأعلام» فيرتب بالاسم الأول والثاني فقط وبعد ذلك لا يرتب بالاسم الثالث وإنما بتاريخ الوفاة فمحمد بن أحمد بن علي المتوفى سنة ٤١٠ ــ مثلاً ــ يتقدم في الترتيب على محمد بن أحمد بن ابراهيم المتوفى سنة ٤١٥.

(٤) ليس هذا هو الفارق الوحيد بين الكتابين، فكتاب «الأعلام» ينفرد بكثرة الإحالات والصور التوضيحية التي تجاوزت ألفاً وخمسمائة ما بين صور أشخاص ونماذج من =

ومع أن الباحثين يكثرون من الرجوع إلى هذين المرجعين بحثاً عن التراجم لدقة ترتيبهما من ناحية، ولشمولهما من ناحية أخرى، حيث يغطيان فترة أطول من تلك التي يغطيها أي كتاب آخر[1]، وحيث لا يقتصران على العرب وإنما يترجمان للعجم والمستشرقين الذين شاركوا بمؤلفاتهم في العلوم العربية والإسلامية إلا أننا ينبغي أن نتنبه إلى أن القيمة الحقيقية لهذين الكتابين ليست في مادتهما وإنما في المصادر المطبوعة والمخطوطة التي يذكرانها عن ترجمة كل شخصية من الشخصيات التي وردت فيهما[2]. فالكتابان إذن قنطرة يعبر عليها الباحثون إلى المصادر الأصيلة للتراجم ولا يصح الاعتماد عليهما في بحث من البحوث.

وكأنما كان كتاب الوافي بالوفيات بضخامته التي جاوزت الحدّ المعقول ناقوساً يدق في دنيا التراجم محذراً من رحابة الميدان وصعوبة التغطية الكاملة بمثل هذا الاتساع والشمول. ولهذا ننظر فنرى اتجاهاً جديداً في تأليف كتب التراجم يظهر في أوائل القرن التاسع ويتلقف الخيط من الصفدي ويمضي به في طريق جديد أقل اتساعاً من الطريق السابق. وكان هذا الطريق الذي شقه ابن حجر العسقلاني وانطلق من ورائه كثيرون بعده هو طريق تراجم القرون. وهي امتداد للتراجم العامة لأنها لا تتقيد برجال فن من الفنون أو إقليم من الأقاليم الإسلامية، وإنما تحدّ نفسها فقط من الناحية الزمنية فتقتصر على رجال قرن واحد عاش فيه المؤلف أو أدرك بعضه. فبعد أن توقف الصفدي في كتابه «الوافي بالوفيات» عند منتصف

= خطوطهم أو مسودات كتاباتهم. وتأتي الإحالات في «الأعلام» في موضعها من الترتيب الهجائي. أما عمر رضا كحالة فقد رتب أعلامه ترتيباً هجائياً دقيقاً وجمع الإحالات كلها في المجلدين الأخيرين من كتابه.

(١) فهما يضمان تراجم القدماء والمحدثين حتى عصرنا هذا باستثناء الأحياء منهم.

(٢) وهذه النقطة يتفوق فيها «معجم المؤلفين» على «الأعلام» حيث يهتم الأول بالإكثار من المصادر وتقسيمها ما بين مطبوعات ويرمز لها بالحرف (ط) ومخطوطات ويرمز لها بالحرف (خ) ومجلات ويرمز لها بالحرف (م).

القرن الثامن الهجري تقريباً جاء ابن حجر (ــ ٨٥٢) ليغطي تراجم رجال القرن الثامن بأكمله في «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» ومن بعده تتابعت كتب تراجم القرون كالضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ــ ٩٠٢).

و الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، لنجم الدين الغزي (ــ ١٠٦١).

و خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين المحبي (ــ ١١١١).

و سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل المرادي (ــ ١٢٠٦).

و حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق البيطار (ــ ١٣٣٥).

وهذه الكتب تتفق جميعها في أنها مصادر أصيلة لتراجم رجالات القرون التي تغطيها، فقد أدرك مؤلفوها تلك القرون وعاصروا الكثيرين ممن ترجموا لهم. كما أنها تتفق في التزام الترتيب الهجائي[١] وإن كان الغزي قد وزع رجال القرن العاشر على ثلاثة أقسام متساوية: القسم الأول لرجال الثلث الأول من القرن والقسم الثاني لرجال الثلث الأوسط والقسم الثالث لرجال الثلث الأخير منه، ورتب التراجم في كل قسم ترتيباً هجائياً مع البدء بالمحمدين. كذلك تتفق هذه الكتب جميعها في أن التراجم وإن تفاوتت في الطول والقصر إلا أن الإيجاز هو الطابع الغالب عليها بسبب كثرة عدد من يترجم لهم في كلّ منها.

---

(١) وقد أفرد السخاوي الجزء الحادي عشر من كتابه «الضوء اللامع» للكنى والألقاب، والجزء الثاني عشر والأخير للنساء مرتبات ترتيباً هجائياً وفي نهايته فصل للنساء المبهمات مثل أم فلان وزوجة فلان.

فإذا تركنا نقط الاتفاق إلى أوجه الاختلاف بين تلك الكتب وجدنا التفاوت بينها يتمثل في:

(أ) عدد التراجم:

فبينما يترجم صاحب «حلية البشر» لحوالي ألف شخص، يرتفع هذا العدد إلى أكثر من خمسة آلاف في «الدرر الكامنة» ويقفز إلى اثني عشر ألفاً في «الضوء اللامع».

(ب) درجة الدقة المتبعة في ترتيب الأسماء:

فبينما نجد الترتيب الهجائي دقيقاً وكاملاً في «الضوء اللامع»، نجد «الدرر الكامنة» و«حلية البشر» لا يلتزمان بغير الأسماء الأولى فقط بحيث يتجمع أصحاب الاسم الواحد في موضع واحد دون أن يخضعوا لأي نوع من الترتيب.

(ج) نقط التركيز في كل منها:

ويمثل ذلك أصدق تمثيل ابن حجر العسقلاني صاحب المصنفات في تراجم رجال الحديث كـ«لسان الميزان» و«تهذيب التهذيب»، ولهذا نراه في كتابه «الدرر الكامنة» يهتم اهتماماً خاصاً برواة الحديث ولا يقتصر على الرجال وحدهم وإنما يورد الكثير من تراجم النساء العالمات المحدِّثات.

(د) المنهج المتبع في كتابة التراجم:

فبعضها يكتفي بسرد الأخبار عن الشخص المترجم له، وبعضها الآخر يمضي إلى ما هو أبعد من ذلك فيقيِّم الأشخاص ويثني على من يستحق الثناء منهم وينتقد من يستحق الانتقاد كما فعل السخاوي وابن حجر.

(هـ) طريقة ذكر المصادر التي اعتمدت عليها:

فبعضها كـ«الضوء اللامع» ـ مثلاً ـ يذكرها عند النقل عنها، وبعضها الآخر يجمعها في المقدمة كما في «الدرر الكامنة» و«سلك الدرر».

(و) استعمال الإحالات:

فقد فطن السخاوي وابن حجر خاصة إلى أهميتها في التيسير على الباحثين فاستعملاها كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

* * *

وكما اتجه أصحاب كتب التراجم العربية إلى تضييق مجال التغطية في كتبهم على أساس زمني، كذلك وجد اتجاه مبكر إلى تضييق المجال على أساس إقليمي فظهرت منذ القرن الخامس كتب تترجم لرجالات إقليم معين مثل «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر» للحميدي (ـ٤٨٨) ومثل تواريخ المدن كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي[1] (ـ٤٦٣) و«تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر (ـ ٥٧١)[2] و«بغية الطلب في تاريخ حلب»[3] لابن العديم (ـ ٦٦٠) و«الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب (ـ ٧٧٦) وغيرها.

وتواريخ المدن هذه كلها تبدأ بالتأريخ للمدينة والحديث عنها حديثاً مفصلاً يتناول أرضها وغلاتها ومساجدها وآثارها وقصورها وغير ذلك من مظاهر الحضارة والعمران بها، ثم تترجم لمن عاش فيها أو رحل إليها أو رحل عنها من العلماء والفقهاء والأدباء والفنانين وغيرهم. وهي إلى التراجم أقرب منها إلى التاريخ، ويكفي أن نذكر للدلالة على ذلك أن كتاباً

---

(١) وعليه ذيل لابن النجار بعنوان «ذيل تاريخ بغداد» ويقع في أكثر من عشرة مجلدات.

(٢) أضخمها جميعاً، فهو يقع في ٨٠ مجلداً وقد بدأ المجمع العلمي العربي بدمشق في إصداره فصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٥١ بتحقيق صلاح الدين المنجد. كذلك صدر مختصر له بعنوان «تهذيب تاريخ مدينة دمشق» أخرجه عبد القادر بدران بعد حذف الأسانيد والمكررات. وقد عمل ابن القلانسي ذيلاً لكتاب سماه «ذيل تاريخ دمشق».

(٣) وللمؤلف أيضاً «زبدة الحلب من تاريخ حلب» وهو مختصر لبغية رتبة على السنين حتى سنة ٦٤١ هـ.

كـ «تاريخ بغداد» يقع في ١٤ مجلداً نصف المجلد الأول منها فقط عن بغداد، وبقية هذا المجلد والمجلدات الثلاث عشرة الباقية كلها تراجم.

وهذه الكتب جميعها تتفق في أن التراجم بها مرتبة ترتيباً هجائياً بصفة عامة، ثم تختلف بعد ذلك في أن بعضها كجذوة المقتبس وتاريخ بغداد يبدأ بالمحمدين ثم الأحمدين، وبعضها الآخر يبدأ بالأحمدين فقط كالإحاطة وتاريخ مدينة دمشق، كما تتفاوت فيما بينها في درجة الدقة المتبعة في الترتيب، فبينما نجد معظمها كالإحاطة وجذوة المقتبس وتاريخ بغداد لا تلتزم الترتيب الهجائي إلا بالنسبة للأسماء الأولى فقط دون نظر إلى ثواني الأسماء، نجد كتاباً كتاريخ مدينة دمشق يلتزم الترتيب الهجائي الدقيق بأسماء الأشخاص وأسماء آبائهم وأجدادهم.

وطبيعي أن تتفاوت تلك الكتب في درجة التفصيل وفي دقة المعلومات التي تقدمها. فالحميدي الأندلسي ـ مثلاً ـ ألف كتابه وهو في العراق، وكان بعده عن وطنه وعن المصادر الأندلسية يحدّ مادته ويضطره إلى الاقتضاب في بعض التراجم وإغفال البعض الآخر. وقد نبّه على ذلك في خطبة الكتاب واعتذر عنه.

وهذه الأنواع الثلاثة من كتب التراجم العربية أدخل في باب التراجم العامة على رغم ما بينها من تفاوت في درجة عموميتها.

فإذا انتقلنا إلى التراجم المتخصصة وجدنا منها أعداداً هائلة في لغتنا العربية، فقبل أن ينتصف القرن الثاني الهجري كتب ابن اسحق سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجاء من بعده ابن هشام (ـ ٢١٨) فهذّبها وأذاعها بين الناس حتى أصبحت تعرف بسيرة ابن هشام.

وبعد ظهور السيرة النبوية بدأت التآليف العربية في تراجم الصحابة والتابعين وتابعيهم ورواة الحديث تتتابع منذ مطلع القرن الثالث الهجري. ولم يكد يمضي قرن آخر حتى تنوعت كتب التراجم تنوعاً شديداً

فظهرت تراجم للشعراء وأخرى للغويين والنحاة، كما ظهرت تراجم للأطباء والفقهاء والمفسرين والقراء والمتصوفين والفلاسفة وغيرهم في مختلف فروع المعرفة التي كانت متاحة في تلك العصور.

ولم يقنع المؤلفون العرب بالتراجم التقليدية وإنما مضوا يطورونها ويستحدثون نمطاً جديداً يعرف بالطبقات. والفرق بين التراجم والطبقات أن الأولى تتناول الأشخاص في ترتيب هجائي أو زمني (الأقدم فالأحدث) أو مكاني أو غير ذلك من طرق الترتيب المعروفة. أما كتب الطبقات فإنها تتقدم خطوة أخرى لأنها لا تكتفي بالترجمة وإنما تصنف المترجم لهم تصنيفاً تنازلياً في فئات أو درجات بغض النظر عن أزمنتهم وأمكنتهم وترتيب أسمائهم، وداخل كل فئة أو طبقة قد يُلجأ إلى الترتيب الهجائي أو الجغرافي أو التاريخي تيسيراً على الباحثين[1].

وصحيح أن كثيراً من كتب الطبقات لم تتخلص من سطوة الزمن عليها، بمعنى أن تسير الطبقات في خط موازٍ للزمن، فتكون الطبقة الأولى للأقدم، يليها الأحدث فالأحدث. ولكن حتى في هذه الحالات فإن المقياس هو قيمة الشخص ومكانته لا قِدَمه وزمانه. ففي تراجم الصحابة والتابعين ــ مثلاً ــ لا ينكر أحد أن من عاصر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورآه وجالسه أفضل ممن لم يعاصره، وأن الجيل الأول من التابعين يتقدم على الجيل الثاني وهكذا. ونجد مثالاً على ذلك في كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ــ ٢٣٠) الذي يبدأ بسيرة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومغازيه، ثم يترجم لما يقرب من ثلاثة آلاف من الصحابة والتابعين موزعين على طبقات على أساس السبق إلى الإسلام، فالطبقة الأولى للصحابة الذين شهدوا بدراً مع تقديم المهاجرين على الأنصار،

(١) أول من ابتدع فكرة الطبقات هم رجال الحديث الذين اهتموا بتصنيف الرواة وجعلهم في مراتب متفاوتة من الثقة فيما يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والطبقة الثانية لمن لم يشهد بدراً من المهاجرين، ثم الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة. ثم ينتقل ابن سعد إلى تصنيف الصحابة والتابعين تصنيفاً إقليمياً، فإلى جانب تراجم المكيين والمدنيين، هناك تراجم لمن نزل الطائف واليمن والبحرين واليمامة والكوفة والبصرة وبغداد والشام ومصر وافريقيا. وقد قسمت تراجم رجال الأقاليم المختلفة إلى طبقات يتفاوت عددها من إقليم لآخر. فالتابعون من أهل المدينة ــ مثلاً ــ وزعوا على سبع طبقات، والمكيون الذين رووا عن عمر بن الخطاب وغيره وضعوا في خمس طبقات. ويختم ابن سعد كتابه بفصل في تراجم النساء مبتدئاً بنساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم النساء المهاجرات، يليهن نساء الأنصار، وأخيراً النساء اللاتي لم يروين عن النبي.

ونتيجة لكثرة من شملهم كتاب ابن سعد بالترجمة، وجد المؤلف نفسه مضطراً إلى الإيجاز بصفة عامة، ولكنه سأل نفسه: أيهما أولى بالتفصيل النسبي: القدماء أم المحدثون؟ وبعبارة أخرى: هل يفصّل في تراجم القدماء لما لهم من مكانة في النفوس أم يفعل العكس على أساس أن كتابه سيظل مصدراً لتراجم المحدثين يعتمد عليه كل من جاء بعده؟ ونظراً لأنه اتخذ مبدأ الطبقات أساساً للكتاب فقد كان طبيعياً أن يحرص ابن سعد على التفصيل في تراجم رجال الطبقات الأولى من الأقدمين وعلى الإيجاز في تراجم المتأخرين والمعاصرين.

وليس غريباً أن تتعثر المحاولة الأولى لتصنيف التراجم وألا تخلو من الاضطراب، فقد أدى التقسيم الزمني بحسب السبق إلى الإسلام ثم التقسيم المكاني بعد ذلك إلى تكرار بعض الشخصيات في أكثر من موضع. وقد عالج ابن سعد هذا التكرار بالإطالة في موطن واحد والإيجاز في بقية المواطن.

ولم تخرج تراجم رجال الدين في جملتها عن الترتيب الهجائي كما هو الحال في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (ـ ٤٦٣) و «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (ـ ٦٣٠) و «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (ـ ٨٥٢)[1] و «طبقات المفسرين» للسيوطي (ـ ٩١١) و «غاية النهاية في طبقات القراء»[2] لابن الجزري (ـ ٨٣٣) و «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب»[3] لابن فرحون اليعمري (ـ ٧٩٩) و «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» لتقي الدين الغزي (ـ ١٠١٠)، وكما في تراجم المحدِّثين ككتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (ـ ٣٢٧) و «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب» لابن ماكولا (ـ ٤٧٥) و «المشتبه في الرجال» و «ميزان الاعتدال» للذهبي (ـ ٧٤٨) وإن كانت تتفاوت في درجة الدقة المتبعة في الترتيب حتى لنرى رجلاً كالذهبي يلتزم الترتيب الدقيق في «ميزان الاعتدال» ولا يحرص عليه في «المشتبه». وطبيعي أن تُفرد أبواب، لمن لم يُعرفوا إلا بالكُنى أو الألقاب أو الأنساب[4] وأبواب للنساء إن لم يكنَّ قد دخلن مع الرجال في ترتيب هجائي واحد كالذي

---

(١) في هذا الكتاب قسمت التراجم في كل حرف على أربعة أقسام: الأول فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره سواء كانت الطريقة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة، والثاني في الصحابة الذين ولدوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (وهم أبناء الصحابة)، والثالث في مخضرمي الجاهلية والإسلام الذين لم يرد أنهم اجتمعوا بالنبي ولا رأوه سواء أسلموا في حياته أم لا (وهؤلاء ليسوا صحابة باتفاق أهل العلم)، والرابع فيمن ذكر في الكتب على سبيل الوهم والغلط. ويعتبر تنبيهه على أوهام السابقين ذا أهمية خاصة.

(٢) هناك أيضاً «طبقات القراء» للذهبي وهو على سبع عشرة طبقة.

(٣) في تراجم رجال المذهب المالكي.

(٤) لا ينبغي أن ننسى أن هناك كتباً تقتصر على أصحاب الكنى والألقاب مثل كتاب الكنى والأسماء لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ـ ٣١٠) والكنى والألقاب لابن عبد الله الحاكم، والأنساب للسمعاني.

نجده في آخر «الإصابة» و«ميزان الاعتدال» و«طبقات الحنابلة» و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية»[1].

ومع أن التراجم في كتابي «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلي (ــ ٥٢٦) و«طبقات الشافعية» للسبكي (ــ ٧٧١) قد رتبت في طبقات على أساس زمني بحيث يتقدم المتقدم ويتأخر المتأخر، إلا أن الترتيب داخل كل طبقة ترتيب هجائي مع البدء بالأحمدين في «طبقات الحنابلة» وبالأحمدين ثم المحمدين في «طبقات الشافعية».

ولكن اطراد قاعدة الترتيب الهجائي في الكتب التي ترجمت لرجال الدين لم تُحل دون وجود كتاب كالذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (ــ ٧٩٥) الذي يترجم لرجال المذهب في الفترة من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٧٥١ هـ في ترتيب زمني تصاعدي بحسب تواريخ الوفاة.

ومن الكتب التي لم تلتزم الترتيب الهجائي أيضاً كتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصبهاني (ــ ٤٣٠) الذي يترجم لحوالي سبعمائة من الصحابة والتابعين والمتصوفة مبتدئاً بالعشرة المبشرين بالجنة ثم من داناهم من زهاد الصحابة ثم أهل الصُّفَّة ثم التابعين وتابعيهم ومن يليهم إلى عصره.

وطبيعي أن تتفاوت كتب التراجم والطبقات هذه تفاوتاً شديداً في عدد ما يضمه كل منها من التراجم، فبينما يترجم ابن سعد في طبقاته لما يقرب من ثلاثة آلاف من الصحابة والتابعين، يترجم ابن حجر في «الإصابة» لما يزيد عن اثني عشر ألفاً. وبينما لا يتجاوز عدد تراجم المالكية في «الديباج المذهب» الستمائة إلّا قليلاً، نجد عدد تراجم الأحناف في

---

(١) في نهاية هذه الكتب جميعها أبواب لمن عرفوا بكناهم وألقابهم وأنسابهم. وفي كل من «الإصابة» و«طبقات الحنابلة» أفرد باب للنساء. أما في «ميزان الاعتدال» فقد دخل النساء مع الرجال في هجائية واحدة وخصص باب في آخر الكتاب للنسوة المجهولات.

«الطبقات السنية» أربعة أضعاف هذا العدد إذ يصل إلى حوالي ٢٦٠٠ ترجمة، ويكاد يصل عدد القراء في «غاية النهاية» لابن الجزري إلى أربعة آلاف.

كذلك تتفاوت الكتب التي ترجمت لرجال الدين فيما بينها تفاوتاً بيِّناً في درجة التفصيل، بل إننا لنلمس هذا التفاوت في تراجم الكتاب الواحد، ففي كتب تراجم رجالات المذاهب الفقهية المختلفة نجد تفصيلاً شديداً في ترجمة إمام المذهب، وهذا شيء طبيعي. ولكن الملفت للنظر حقاً أن تصل ترجمة سفيان الثوري ــ مثلاً ــ إلى ما يقرب من مائتي صفحة في «حلية الأولياء».

وبينما يحرص معظم تلك الكتب على ذكر تاريخ الوفاة إن عُلِم، نجد كتاباً كحلية الأولياء لا يهتم بالمولد والوفاة.

أما بالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها أصحاب كتب التراجم الدينية واستقوا منها معلوماتهم فقد تباينوا في طريقة ذكرها، ويمثل هذا التباين كتاب «الطبقات السنية» الذي يذكر في مقدمته أكثر من أربعين مصدراً، وكتاب «الإصابة» الذي يكتفي بذكر المصادر في مواضع النقل عنها.

وكما كانت كثرة كتب التراجم الإسلامية في اللغة العربية انعكاساً لاهتمام المسلمين بالدين ورجاله ابتداء من الرسول عليه الصلاة والسلام، ومضياً مع صحابته الأكرمين وتابعيهم جيلاً بعد جيل، وانطلاقاً وراء رواة الحديث في محاولة رائعة لتنقية أحاديث رسول الله ﷺ من الوضع والاختلاق عن طريق تقييم الرواة وتعديلهم أو تجريحهم ووضعهم في درجات متفاوتة من الثقة فيما يروون، ثم اهتماماً برجال المذاهب الفقهية المختلفة وبقُرَّاء القرآن الكريم ومفسريه، كذلك لم تكن كتب التراجم في مجال اللغة والأدب أقل تعدداً وتنوعاً منها في مجال الدراسات الإسلامية.

وكانت كثرة الكتبِ في هذا الميدان صدى لاهتمام العرب بلغة القرآن وبكل ما صدر فيها من فنون القول.

واهتمام العرب بالشعر اهتمام قديم ومعروف حتى لقد قيل إنّ الشعر ديوان العرب وسجل مفاخرهم. ولذلك لا نعجب إذا وجدنا الاهتمام بتراجم الشعراء يظهر مبكراً منذ أوائل القرن الثالث الهجري. ولقد كان التركيز أول الأمر منصباً على القدماء الذين احتفظوا باللغة في أنقى صورها قبل أن تدخلها لكنة الأعاجم نتيجة لاختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم بعد الفتوح، وقبل أن تفرض العناصر الفارسية نفسها على الثقافة العربية في عصر بني العباس.

وحينما بدأ التأليف في تراجم الشعراء الأقدمين كان طبيعياً أن ينصبَّ على المشاهير أولاً ثم يعمم بعد ذلك بحيث يشمل المشهورين والمغمورين. والمقصود بالمشاهير أولئك الذين يكثر الاستشهاد بهم في كتب اللغة والنحو. ومن أقدم ما أُلِّف في تراجمهم كتابان هما «طبقات الشعراء» لابن سلام (ـ ٢٣١) و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ـ ٢٧٦). والكتاب الأول ليس مجرد تراجم وإنما هو كتاب طبقات كما يدل عليه عنوانه، وإن كانت فكرة الطبقات غير ناضجة فيه. فقد قسم ابن سلام شعراءه إلى جاهليين وإسلاميين وجعل كل قسم في عشر طبقات وكل طبقة أربعة شعراء تمشياً مع القول القديم بأن «أشعر الشعراء امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب وزهير إذا رغب» وقد أوقعه هذا التقسيم في مأزقين:

الأول: أين يضع الشعراء المخضرمين وهم قد أدركوا الجاهلية والإسلام؟

والثاني: كيف يستقيم له أن يجعل كل طبقة أربعة لا تزيد ولا تنقص؟

وقد تخلص ابن سلام من المأزقين تخلصاً غير مقنع، فوزع المخضرمين على القسمين، بعضهم مع الجاهليين وبعضهم مع الإسلاميين. وبالنسبة للطبقات اضطر إلى أن يوزع شعراء متساوين أو متقاربين في أقدارهم ومنازلهم على طبقات قد تتباعد كما فعل بالنسبة لطرفة بن العبد الذي وضعه في الطبقة الرابعة الجاهلية بينما عنترة في الطبقة السادسة، وبالنسبة لكثيِّر الذي جعله في الطبقة الثانية الإسلامية بينما جميل في الطبقة السادسة دون أن يبين لنا أساس هذا التفاضل. كذلك اضطر ابن سلام إلى أن يكمل بعض الطبقات بشعراء لا يرقون إلى المنزلة التي وضعهم فيها كعبيد الراعي الذي ضمه إلى جرير والفرزدق والأخطل لتكتمل الطبقة أربعة.

وكأنما استشعر ابن سلام صعوبة هذا التقسيم وعجزه عن أن يستوعب جميع تراجم المشاهير فجعل بين القسمين الكبيرين ثلاث مجموعات من الشعراء يجمعهم الموضوع أو المكان أو الديانة لا الطبقة: أولها أصحاب المراثي، وثانيها شعراء القرى: الطائف والمدينة ومكة والبحرين، وثالثها شعراء اليهود. ولم يتقيد ابن سلام في ذكر شعراء تلك الطوائف الثلاث بما التزم به في بقية الكتاب من جعلهم في مجموعات رباعية.

وكأنما أحس ابن قتيبة بمشكلات تقسيم الشعراء إلى طبقات فجعل كتابه تراجم عادية لا تخضع لأي نوع من التصنيف وإن كان يغلب عليها مراعاة الترتيب الزمني وتقديم الجاهليين على المخضرمين، والمخضرمين على الإسلاميين.

ويعتبر كتاب «الشعر والشعراء» علامة بارزة على طريق تراجم الشعراء في اللغة العربية، فقد وجد ابن قتيبة أن الاهتمام كله ينصّب على شعراء الجاهلية وصدر الإسلام فأطلق في مقدمته نغمة جديدة مؤداها أن الله سبحانه وتعالى لم يقصر الفصاحة والإبداع على قوم دون قوم ولا على

عصر دون عصر، وإنما يوجد العمالقة والأقزام في كل بيئة وفي كل جيل من الشعراء وينبغي أن ينصرف الاهتمام إلى الجيد من الشعر بصرف النظر عن قدمه أو حداثته خاصة وأن الشاعر الحديث اليوم سيصير في عداد القدماء غداً. ومن هذا المنطلق نراه يترجم في كتابه لبعض شعراء القرن الثاني وأوائل القرن الثالث كأبي العتاهية والعباس بن الأحنف.

وقبل أن يبلغ القرن الثالث الهجري نهايته، بدأت تظهر تراجم الشعراء المحدثين، فألف ابن المعتز (ـ ٢٩٦) كتابه «طبقات الشعراء» وصنف هارون بن علي المنجم البغدادي (ـ ٢٨٨)، «كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين، وجمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه. . . وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن وأنه كان طويلاً فحذف منه أشياء فاقتصر على هذا القدر»[1].

ولئن كان كتاب المنجم قد فقد إلاّ أنه يعتبر أقدم كتاب ينصرف عن القدماء إلى المحدثين من الشعراء، وعلى أثره ألف الثعالبي (ـ ٤٢٩) «يتيمة الدهر» وهو كتاب يختص بأدباء القرن الرابع وخاصة الشعراء منهم ويركز على الاختيارات من النصوص حتى لتطغى المادة الأدبية على التراجم. وكأني به أراد أن يلفتنا إلى أثر البيئة في الأدب فنراه يقسم شعراءه على الأقاليم التي ينتمون إليها، فالقسم الأول لشعراء الشام ومصر والمغرب والأندلس، والثاني لشعراء العراق، والثالث لشعراء فارس وجرجان وطبرستان وأصفهان، والقسم الرابع والأخير لشعراء خراسان وما وراء النهر كبخارى ونيسابور.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج ٥، ص ١٢٧. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩.

ومن بعد الثعالبي تتتابع المؤلفات التي تعنى بتراجم الشعراء المحدثين وتقدم مختارات من أشعارهم، فيؤلف الباخرزي (ـ ٤٦٧)، «دمية القصر وعُصرة أهل العصر». ولا يلبث هذا المدّ أن يبلغ مداه في القرن السادس الذي ظهرت فيه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام الأندلسي (ـ ٥٤٢)، و«زينة الدهر في لطائف شعراء العصر» للحظيري (ـ ٥٦٨) و«خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني (ـ ٥٩٧). ويستمر التيار متدفقاً حتى مشارف القرن الثاني عشر فيطالعنا كتاب ابن معصوم (ـ ١١٠٤) «سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر».

ومنذ القرن الرابع الهجري تبدأ دائرة تراجم الشعراء في الاتساع لتشمل المشهورين والمغمورين على السواء، وقد تمثل هذا الاتجاه في كتابين هما «المؤتلف والمختلف» للآمدي (ـ ٣٧١)، و«معجم الشعراء» للمرزباني (ـ ٣٨٤).

فأما أولهما فيقتصر على تراجم الشعراء الذين تماثلت أسماؤهم أو كناهم أو ألقابهم واختلفت أشخاصهم كمن سُمّي بالأعشى أو النابغة، وأما الثاني فيترجم للشعراء بعامة. وقد رتبت التراجم في الكتابين ترتيباً هجائياً بالحرف الأول من الاسم فقط[1] دون مراعاة لما يليه من الحروف. فالكتاب الأول ـ مثلاً ـ يبدأ بامرىء القيس ثم الأعشى ثم الأخطل، والكتاب الثاني لم يصلنا كاملاً والجزء الذي وصلنا يبدأ بعمرو ثم عثمان ثم العباس. ولو أنهما التزما الترتيب الهجائي بدقة لعكسا ترتيب

(١) الترتيب في الكتاب الأول بالشهرة سواء كانت اسمًا أو كنية أو لقباً وفي الكتاب الثاني بالاسم الحقيقي للشاعر بغض النظر عن الكنى والألقاب. وقد بينّ الآمدي في مقدمة كتابه أنه جعل «الاسمين إذا كانا على صورة واحدة وحروفهما مختلفة في باب واحد ليعرفا ويفرق بينهما بالنقط والشكل»، وأنه جعل الباب للأشهر منهما، فمثلاً بُرَيْد نجدها مع يزيد.

الأسماء التي ذكرناها، ولكنهما لم يراعيا ذلك واكتفيا بتجميع الشعراء الذين تبدأ أسماؤهم بحرف معين في موضع واحد. وللحق نقول إن الترتيب الهجائي الدقيق لم يظهر في كتب التراجم العربية إلاَّ متأخراً، ومن ثم لا ينبغي أن نعتبر ذلك مأخذاً على الكتابين لأنه كان سمة عامة من سمات العصر الذي ألّفا فيه.

وطبيعي أن تتفاوت كتب تراجم الشعراء فيما بينها تفاوتاً شديداً في عدد التراجم التي يضمها كل منها. ففي «طبقات الشعراء» ــ مثلاً ــ ١١٤ ترجمة وفي «الشعر والشعراء» ٢٠٦ ترجمة، بينما يضم «المؤتلف والمختلف» حوالي ٧٠٠ ترجمة، أما «معجم الشعراء» فمع أنه لم يصلنا كاملاً إلاَّ أن ابن النديم يذكر في فهرسته أنه يضم خمسة آلاف ترجمة[1].

ومع أنها تتفق جميعاً في أنها كتب تراجم للشعراء واختيارات من أشعارهم مع غلبة الإيجاز عليها، إلاَّ أننا نجد اليتيمة والذخيرة تسرفان إسرافاً شديداً في الاختيارات الشعرية خصوصاً من شعر المشاهير. ويركز الثعالبي بصفة خاصة على شعراء الشام بحجة أنهم لم يتأثروا بالأعاجم كما تأثر بهم شعراء العراق.

وعلى الرغم من أن هذه الكتب في معظمها لا تتجاوز حدود الوصف والسرد إلاَّ أن بعضها يتضمن آراء نقدية قيمة كالذي نجده في تفسير ابن سلام لخصائص بعض الشعراء وتعليله لبعض الظواهر الأدبية، بالإضافة إلى مقدمته التي أثار فيها قضية الانتحال في الشعر الجاهلي وحذر فيها من الاطمئنان إلى كل ما يذكره الرواة من هذا الشعر ووضع المعايير لقبول تلك المرويات أو رفضها.

---

(١) الفهرست، ص ١٣٣، ط. فلوجل.

ولم يكن اهتمام العرب برجال اللغة والنحو أقل من اهتمامهم برجال الشعر، فلقد ظهرت مشكلة اللحن في اللغة بعد الفتوح الإسلامية ودخول الأعاجم في الإسلام منذ عهد عمر. وكان أن فزع المسلمون لضبط آيات القرآن الكريم منذ القرن الأول الهجري، ثم ظهرت المدارس النحوية في البصرة والكوفة وبغداد بعد ذلك وكان من نتيجتها كثرة التآليف في اللغة والنحو. وفي القرن الثالث يبدأ التأليف في تراجم اللغويين والنحاة فيؤلف أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ـ ٢٨٥) أول كتاب في طبقات النحاة يخصصه لنحاة البصرة كما يقول حاجي خليفة[١]. وتتتابع الكتب في هذا الميدان وتبدد يد الزمن كثيراً منها[٢] ولا يبقى غير ما ألف في القرن الرابع وما تلاه. وأقدم ما وصلنا كتابان مشرقيان هما «مراتب النحويين» لأبي الطيب اللغوي (ـ ٣٥١) و«أخبار النحويين البصريين» لأبي سعيد السيرافي (ـ ٣٦٨) وكتاب أندلسي هو «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي (ـ ٣٧٩).

ولكلٍّ من هذه الكتب طريقته الخاصة في تصنيف التراجم. فالكتاب الأول يذكر كل عالم من علماء النحو الأوائل مبتدئاً بأبي الأسود الدؤلي ثم أبي عمرو بن العلاء ومن بعده عيسى بن عمر، وبعد كل عالم يذكر تلميذه فتلميذ تلميذه وهكذا حتى يصل إلى عصره، ثم يبدأ السلسلة من جديد مع عالم آخر. والميزة الوحيدة لهذه الطريقة أنها تربط بين التلاميذ وشيوخهم. وكان بوسع المؤلف أن يختار طريقة أخرى أيسر للترتيب كالترتيب الهجائي أو الزمني أو الإقليمي أو الترتيب على حسب المدارس النحوية.

---

(١) كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٠٧، ط. استانبول، ١٩٤٣.

(٢) مثل كتاب المرزباني في أخبار النحويين، وكتاب طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة. وقد نشر مختصر للأول باسم «نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة» سنة ١٩٦٤ ونشر جزء من الكتاب الثاني في بغداد سنة ١٩٧٤.

أما كتاب السيرافي فيتناول أعلام النحو في البصرة خلال القرنين الثاني والثالث مرتباً إياهم في أجيال جيلاً وراء جيل[1]، فهو يبدأ بأبي الأسود ورجال مدرسته، ثم ينتقل إلى أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر (وهما من طبقة واحدة)، ومن بعدهما يونس بن حبيب والخليل بن أحمد، وبعد ذلك يذكر يحي بن المبارك وسيبويه وبعض تلاميذه، ثم ينتقل إلى مدرسة اللغة والأدب بالبصرة فيذكر ثلاثة من أعلام الجيل الأول يتبعهم بستة من رجال المدرسة البصرية الثانية في النحو، ويختم الكتاب بجماعة من هذه الطبقة أقل نباهة ممن سبق ذكرهم ــ على حدّ قوله ــ فيتناول المبرد بشيء من التفصيل ثم يذكر بعض نظرائه وأصحابه بإيجاز شديد.

وأما الكتاب الثالث فقد اتبع طريقة أفضل في الترتيب إذ صنف النحويين واللغويين على حسب الأقاليم فجعلهم في خمس فئات مبتدئاً بالبصريين «لتقدمهم في علم العربية وسبقهم إلى التأليف فيها»[2] ثم الكوفيين ثم المصريين ثم القرويين (الأفارقة) ثم الأندلسيين. وقد رتب علماء كل فئة ترتيباً زمنياً مصنّفاً إياهم في طبقات قد لا تزيد الطبقة منها عن واحد وقد تضم أكثر من ثلاثين. ولو أنه اكتفى بذلك لكفاه، ولكنه أراد أن يتقدم خطوة أخرى على طريق التصنيف وأن يفصل اللغويين عن النحويين في كل قسم من الأقسام الخمسة فتعثر وعدل عن خطته بعد القسمين الأولين لأنه تبين أن بعض اللغويين نحاة وبعض النحاة لغويون، فاضطر إلى تكرار تراجمهم مرة مع اللغويين ومرة أخرى مع النحاة كما فعل بالنسبة لأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر. وحينما حاول أن يغلب جانباً

---

(١) ليس معنى هذا أنه تقيد بتواريخ الوفاة، فقد يتقدم من تأخرت وفاته مثل تقديم أبي عمرو بن العلاء (ــ ١٥٤) على عيسى بن عمر (ــ ١٤٩) وتقديم الأصمعي (ــ ٢١٦) على أبي عبيدة (ــ ٢٠٩).

(٢) المقدمة، ص ١٠، طبعة الخانجي، ١٩٥٤، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

على آخر وقع في أخطاء ما كان أغناه عن أن يتورط فيها، فوضع الخليل ـ على سبيل المثال ـ مع النحويين مع أن اللغة عليه أغلب.

وتتتابع الكتب التي تترجم للغويين والنحاة عبر القرون حتى نصل إلى القرن السابع فيطالعنا كتاب «إنباه الرواة على أنباه النحاة» لجمال الدين القفطي (ـ ٦٤٦) الذي يضم ما يقرب من ألف ترجمة للنحويين واللغويين وكل من كانت له مشاركة في اللغة والنحو من الأدباء والعروضيين والمؤرخين والمحدثين، ثم يؤلف السيوطي (ـ ٩١١)، أجمع كتاب في تراجم رجال اللغة والنحو ونعني به كتاب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» الذي يضم أكثر من ٢٢٠٠ ترجمة والذي يذكر عنه حاجي خليفة أن مؤلفه وضعه أول الأمر في سبعة مجلدات ثم لخصه في مجلد ثم أعاد اختصاره ثانياً وسماه «بغية الوعاة»[١]. والتراجم في هذين الكتابين مرتبة ترتيباً هجائياً بالأسماء الأولى فقط[٢] مع البدء بالمحمدين ثم الأحمدين ومع إفراد أبواب للكنى والألقاب والنِّسب والإضافة والمتفق والمفترق من الأسماء وغيرها في كتاب السيوطي.

ونلاحظ على هذه الكتب جميعها أنها تبدأ من أبي الأسود الدؤلي وتستمر حتى عصر المؤلف. وقد نتج عن ذلك تكرار تراجم الأجيال الأولى من النحاة وضخامة الأعداد التي ترجمت لها الكتب المتأخرة مما اضطر أصحابها إلى الإيجاز الشديد. ولو أن كل كتاب منها بدأ من حيث انتهى سابقه لحصر نفسه في نطاق محدود ولأتاح لنفسه فرصة التوسع والتفصيل في تراجم نحاة قرن أو قرنين بدلاً من الامتداد على مسافة من الزمن بلغت تسعة قرون بالنسبة للسيوطي في كتابه «بغية الوعاة».

---

(١) كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٠٧.

(٢) وقد حاول السيوطي في «بغية الوعاة» مراعاة الحرف الأول من الاسم الثاني أيضاً فنجد محمد بن سالم يليه محمد بن سارة ثم محمد بن السري، ولكنه لم يطبق هذه القاعدة تطبيقاً دقيقاً بدليل أننا نجد سليمان بن يوسف قبل سليمان بن الخراساني.

وثمة ملاحظة أخرى على تلك الكتب التي ترجمت للغويين والنحاة وهي أن الكتب الأولى منها كـ«مراتب النحويين» و «طبقات النحويين واللغويين» كانت تبدأ بمقدمات عن ظهور اللحن في اللغة العربية وقصة وضع النحو، ثم جاءت مرحلة تالية يمثلها السيوطي في «بغية الوعاة» وهي مرحلة استعراض المحاولات التي بذلت من قبل في تراجم اللغويين والنحاة مع تقييم كل منها.

وإلى جانب الكتب التي تخصصت في تراجم الشعراء واللغويين والنحاة، وجدت كتب أخرى في تراجم الأدباء عامة لعل أهمها وأضخمها «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (ـ ٦٢٦) وهو يضم تراجم لعدد كبير من «النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتّاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفاً أو جمع في فنه تأليفاً»[1].

وقد نص ياقوت في مقدمة كتابه هذا على أنه استبعد الشعراء لأنه أفرد لهم معجماً خاصاً بهم ـ لم يصلنا للأسف ـ ولم يستبق منهم في هذا الكتاب إلّا ذوي المصنفات كالبحتري وأبي العلاء.

والواقع أن هذه المقدمة ترفع من قدر ياقوت وتكسب كتابه قيمة فوق قيمته، فقد أوضح فيها منهجه الذي سار عليه من حيث المادة التي يقدمها عن كل شخصية ومن حيث الترتيب الذي اتبعه في عرض التراجم، كما ذكر فيها أمهات المصادر التي اعتمد عليها في تجميع مادته.

ويعتبر هذا الكتاب من أوثق المصادر وأكثرها إسهاباً وتفصيلاً بالنسبة لتراجم العلماء والأدباء حتى القرن السادس الهجري، ويمتاز عما سبقه بدقة

---

(١) المقدمة، ص٤٨ ـ ٤٩ ط. مرجليوث الأخيرة الصادرة عن دار المأمون، ١٩٣٦.

ترتيبه الهجائي ويحرصه على ذكر تواريخ وفاة من يترجم لهم وتواريخ مواليدهم إن أمكن كما أنه يذكر مصنفاتهم والمصادر التي ينقل عنها في تراجمهم.

ولم يقتصر اهتمام العرب في مجال التراجم على رجال الدين واللغة والأدب فحسب، وإنما تجاوزهم إلى رجال العلوم والفنون الأخرى. ومع أن كثيراً من تلك الكتب قد عدت عليه الأيام ولم يبق لنا عنه إلا أخبار متفرقة في بطون الكتب ككتاب «ضوء النبراس وأنس الجلاس في أخبار المزوّقين من الناس» الذي ذكره المقريزي نقلاً عن القضاعي (ـ ٤٥٤ هـ)،[١] أو بنقول تأتي في ثنايا كتب أخرى ككتابي «أدب الطبيب» لإسحق بن علي الرهاوي (من رجال القرن الثالث) و«سيرة الحكماء» لأبي بكر الرازي (ـ ٣١٣)، اللذين فقدا ولم يصلنا منهما إلا ما نقله عنهما ابن أبي أصيبعة في كتابه. على الرغم من ذلك، فإن ما تبقى لنا من تلك الكتب يدل دلالة قاطعة على تنوع التأليف في هذا المجال وغزارته. ويكفي أن نذكر كتابين في تراجم الأطباء ألف أولهما في الأندلس في النصف الثاني من القرن الرابع، وفي سنة ٣٧٧ هـ على وجه التحديد، وألف الثاني في دمشق سنة ٦٤٣ وهما:

طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل[٢].

وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.

وكلاهما يترجم لأطباء اليونان والسريان والمسلمين في المشرق والمغرب موزعين على تسع طبقات في الكتاب الأول وأربع عشرة طبقة في الكتاب الثاني، ويحكمها في الكتابين التتابع الزمني والتصنيف المكاني.

---

(١) الخطط، ج ٢، ص ٣١٨، ط. بولاق، ١٢٧٠ هـ.

(٢) ذكر الأستاذ فؤاد سيد ــ رحمه الله ــ في تقديمه لهذا الكتاب ثبتاً بالكتب التي ألفت في تراجم الأطباء مرتبة زمنياً.

فالكتاب الأول يبدأ بأول من تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية، وتتوالى الطبقات متناولة حكماء اليونان والإسكندرية حتى نصل إلى الطبقة السابعة التي خصصها المؤلف لحكماء الإسلام، والطبقة الثامنة التي خصصت لحكماء الإسلام ممن سكن المغرب، والطبقة التاسعة التي وضع فيها أطباء الأندلس. أما الكتاب الثاني فيبدأ بفصل عن كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها، ثم تبدأ الطبقة الأولى بإقليدس، وتتتابع طبقات الأطباء اليونانيين ثم أطباء العرب في أول ظهور الإسلام ثم الأطباء السريان الذين وجدوا في العصر العباسي، وبعد ذلك يبدأ تقسيم التراجم تقسيمًا جغرافياً، فهناك طبقة لأطباء العراق والجزيرة وديار بكر، وأخرى للأطباء من بلاد العجم، وثالثة للأطباء الهنود ورابعة للأطباء المغاربة وخامسة للأطباء المصريين وطبقة أخيرة للأطباء الشاميين. ولم تخضع التراجم داخل الطبقات في الكتابين لأي نوع من الترتيب.

* * *

فإذا تركنا اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية الحديثة وجدناها هي الأخرى متخمة بكتب التراجم، ونستطيع أن نتبين فيها ثلاث فئات متمايزة:

الفئة الأولى ـ كتب التراجم العالمية:

وهي التي لا تقيد نفسها بدولة معينة وإنما تغطي الشخصيات البارزة في العالم كله بصرف النظر عن الدول التي ينتمي إليها الأفراد أو جنسياتهم أو تخصصاتهم أو عقائدهم الدينية والسياسية. ومن أمثلتها:

— Chamber's Biographical Dictionary. London, 1897. (new edition, 1961).

— Webster's Biographical Dictionary. Springfield, Mass., 1943, 1953, 1966.

— Biographie Universelle; ancienne et moderne. (Michand, J.F.). Paris, 1811-62 (new edition, 1843-1865).

— Current Biography. New York, 1940-

— International Who's Who. London, 1935-

والتراجم في كل واحد من هذه الكتب وفي كثير غيرها مرتبة ترتيباً هجائياً باللقب (Surname) وبالنسبة لكل ترجمة يذكر عادة اسم الشخص كاملاً (وأحياناً النطق كما في: Current Biography, Webster's Biographical Dictionary) وتاريخ ميلاده (وتاريخ وفاته إن لم يكن من الأحياء) وعنوانه ونبذة مختصرة عن حياته وتدرجه الوظيفي ومؤلفاته وأبحاثه المنشورة والهيئات العلمية التي ينتمي إليها، وربما هواياته المفضلة. وقد يعطى المرجع صور الأشخاص ومصادر أخرى للمعلومات عنهم كما يفعل Current Biography. ويمتاز الكتابان الأخيران بتتابع اصداراتهما بانتظام فالـ International Who's Who يصدر سنوياً، والـ Current Biography يصدر كل شهر ما عدا شهر أغسطس ويجمع في آخر كل عام، وبذلك يعتبران مصدراً أساسياً ومتجدداً لتراجم الأحياء. وكثيراً ما يضطر الباحث إلى الرجوع إلى غيرهما من المراجع التي ذكرناها باستثناء Biographie Universelle الذي مضى عليه أكثر من مائة عام.

الفئة الثانية من كتب التراجم:

هي تلك التي تختص بإقليم من الأقاليم مثل:

Who's Who in Europe, The Asia Who's Who.

أو بدولة من الدول مثل:

Who's Who[1]. Who's Who in America, Who's Who in France. Who's Who in Germany, Who's Who in the U.S.S.R., Who's Who in Latin America, Who's Who in Turkey. Who's Who in the Arab World. Who's who in Egypt and the Near East, Who's Who in Israel... etc.

---

(١) يترجم للمشاهير في بريطانيا ودول الكومنولث.

ويضاف إلى مجموعة (Who's Who) كتب التراجم القومية التي بدأت تظهر في معظم الدول الأوروبية منذ القرن التاسع عشر، والتي تتسم بالمعالجة العلمية والموضوعية مثل:

— Dictionary of American Biography.

— Dictionary of National Biography (British).

— Dictionaire de Biographie Française.

والفرق الجوهري بين مجموعة Who's Who وتلك التراجم القومية أن التراجم القومية تسقط الأحياء بينما لا تهتم Who's Who إلاّ بالأحياء. وفي كل طبعة تراجع التراجم ويُسقط الأموات ليأخذوا مكانهم في Who Was Who بعد إضافة تواريخ وفياتهم. وقد صدر من هذا الكتاب الأخير خمسة أجزاء الأول منها يغطي السنوات ١٨٩٧ ـ ١٩١٥، والثاني ١٩١٦ ـ ١٩٢٨، والثالث ١٩٢٩ ـ ١٩٤٠، والرابع ١٩٤١ ـ ١٩٥٠، والخامس ١٩٥١ ـ ١٩٦٠. ونفس الشيء نجده في Who Was Who in America الذي تنتقل إليه تراجم الوفيات من Who's Who in America والذي صدرت منه ثلاثة مجلدات في الفترة من سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٦٠.

وعلى غرار Who was Who نجد Who Was When الذي يسجل فيه De Ford العظماء والمشاهير من سنة ٥٠٠ق.م. حتى الوقت الحاضر.

الفئة الثالثة ـ من كتب التراجم:

هي تلك التي لا تلتزم بحدود جغرافية وإنما تلتزم بحدود موضوعية مثل سلسلة Who's Who المتخصصة في مختلف مجالات المعرفة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

— Who's Who in Art, 1927- (14 th ed. 1968).

— Who's Who in Atoms, 1959- (3 rd ed. 1962).

— Who's Who in Engineering, 1922- (9th ed. 1964).

— Who's Who in Journalism, 1969- (Anuual).

— Who's Who in Music, 1935- (5th ed. 1969).

ومن التراجم الموضوعية غير مجموعة Who's Who نذكر أيضاً:

— International Directory of Philosophy & Philosophers, ed. by G. Varet & P. Kurtz. N.Y., 1965.

— International Directory of Anthropologists, ed. by M.J. Harskovits. Washington, 1938 (3rd ed. 1950).

— World Directory of Mathematicians. Bombay, 1958 (2nd ed. 1961).

— Medical Directory. London, 1845- (Annual).

— Orbis Geographicus. Weisbaden, 1964-66.

وهناك موضوعات تتمتع بثراء عظيم في الكتب التي تترجم لأعلامها كالفن ــ مثلاً ــ فإلى جانب Who's Who in Art الذي سبق ذكره نجد:

— Art-Documents. Geneva, 1955-

— Bryan's Dictionary of Painters & Engravers. London 1903-5. 5Vols. (reprinted, 1964).

— Mallett's Index of Artists. N.Y., 1935. Supplement, 1940. (reprinted, 1948 in 2Vols.).

— Bénézit, E.: Dictionnaire Critique et Documentaire de Peintres, Sculpteurs, Dessinateurs et Graveurs. Paris, 1960. 8 Vols.

— Èdouard-Joseph, R.: Dictionnaire Biographique des Artistes Contemporains, 1910-1930. Paris, 1930-36. 3Vols.

— Thieme, U. & Becker, F.: Allgemeines Lexikon der Bildenden Kunstler. Leipzig, 1907-50. 37 Vols. (reprinted, 1965).

— Vollmer, H.: Allgeines Lexikon der Bildenden Künstler des XX Jahrhunderts. Leipzig, 1953-62. 6 Vols.

وتقتصر بعض كتب التراجم الأجنبية على المعاصرين في مجال معين، وعلى مستوى بلد معين(١)، مثل:

— American Men of Science. 10th ed. Arizona, 1960-62. 5 vols.

---

(١) ويمثل هذه الفئة في اللغة العربية «دليل الأفراد العلميين في مصر».

ويقابله بالنسبة للعلماء البريطانيين:

— Directory of British Scientists. London, 1963-

وينبغي أن يتنبه الباحثون عن التراجم إلى أنهم قد يجدون مادة صالحة ومفصلة في غير كتب التراجم التقليدية. فكثير من الحوليات وخاصة ما يصدر منها عن هيئات علمية لا تخلو من التراجم مثل:

— The International Yearbook and Statesmen's Who's Who. London, 1953-

— The Europa Yearbook. London, 1959-

والموسوعات العامة وملاحقها السنوية لا تخلو هي الأخرى من تراجم الشخصيات العالمية في مختلف مجالات المعرفة. أما الموسوعات المتخصصة فهي أشد عناية واهتماماً بتراجم المشاهير في مجالات تخصصها. ومن أبرز الأمثلة على ذلك دائرة معارف الفنون ودائرة معارف الفلسفة والفلاسفة الغربيين ودوائر المعارف اليهودية التي سبق الحديث عنها مع الموسوعات.

والتراجم المذكورة في تلك الموسوعات وأشباهها أكثر إسهاباً وتحليلاً من أي كتاب من كتب التراجم التي ذكرناها وإن اختلفت عنها في نوع البيانات التي تقدمها. فالموسوعات ـ مثلاً ـ لا تهتم بعنوان الشخص ومؤهلاته ووظيفته بقدر ما تهتم بسيرته ومكانته العلمية في مجال تخصصه ومدى إسهامه في هذا المجال، بينما تحرص كتب التراجم عادة على ذكر المعلومات البريدية عنه ـ إن صح هذا التعبير ـ. وطبيعة الموسوعات تسمح لها ببسط القول أكثر من كتب التراجم التي لا سبيل لها إلى التفصيل إلا على حساب عدد التراجم التي يضمها كل منها. وتلك هي المعادلة الصعبة التي تواجهها كتب التراجم بلا استثناء.

البيبليوجرافيات وقوائم الكتب

ويتكون لفظ الببليوجرافيا من كلمتين هما (Biblios) ومعناها «كتاب» و (Grapho) ومعناها «يكتب»، ولذا كان يطلق في اللغات الأوروبية على فن نسخ الكتب، وظل يحمل هذا المعنى حتى تحول مدلوله في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من كتابة الكتب إلى الكتابة عن الكتب.

ونستطيع أن نميز بين نمطين من الكتابات الببليوجرافية هما: الببليوجرافيا النسقية التي تحصى الإنتاج الفكري في موضوع ما، والببليوجرافيا التحليلية التي تهتم بالوصف المادي للكتاب من حيث ورقه وطباعته ونوع حروفه وعدد ملازمه وعلامات الطابعين وغير ذلك.

والنمط الأول هو الأكثر ذيوعاً وانتشاراً، ولذلك حينما يذكر لفظ «ببليوجرافيا» على إطلاقه فإنه ينصب عادة على القوائم الببليوجرافية. وبهذا المعنى سوف يكون تناولنا له في هذا الفصل.

ومع أن علم الببليوجرافيا لم يعرف في أوروبا إلا في القرن الثامن عشر، فقد عرفه العرب منذ القرن العاشر الميلادي وصنفوا فيه وإن لم يسموه بتلك التسمية الحديثة. ففي سنة ٣٧٧ هـ/٩٨٧م ألف ابن النديم كتابه «الفهرست» ليكون «فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار

مصنفيها. . . منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة» كما نص على ذلك في ديباجته.

وبالرغم من أن ابن النديم قد استعمل لفظ الفهرست، إلاَّ أنه كان يقصد به الحصر البيبليوجرافي بأوسع معاني الكلمة وأدقها، فهو لا يقف به عند موضوع معين فيكون بيبليوجرافياً موضوعية، ولا عند إقليم معين فيكون بيبليوجرافياً قومية أو وطنية، وإنما هو يتسع به ليستوعب كل ما ألف في لغة العرب أو ترجم إليها من اللغات الأخرى في شتى فروع المعرفة منذ أقدم العصور حتى سنة ٣٧٧ هـ(١).

ولقد تتابعت **الأعمال البيبليوجرافية العربية** منذ عصر ابن النديم حتى عصرنا الحاضر. وليس هنا مجال تتبع تلك الأعمال أو إحصائها فذلك موضوع دراسات أخرى عن علم البيبليوجرافيا عند العرب، ولكن الذي ينبغي أن نقف عنده هو الخطوط العامة التي سارت فيها المؤلفات العربية في هذا المضمار.

ونستطيع أن نقول مطمئنين إن البيبليوجرافيات العربية كانت في معظمها تجنح إلى العموم حتى جاء العصر الحديث ولم يَعُد في مقدور أحد أن يغطي ما أنتج في مختلف حقول المعرفة، فاتجه البيبليوجرافيون إلى التخصص الإقليمي حيناً والموضوعي حيناً آخر.

وعلى طول الطريق الذي قطعه علم البيبليوجرافيا العربي كانت هناك علامات بارزة أهمها «مفتاح السعادة» لطاشكبرى زادة (ـ ٩٦٨ هـ/ ١٥٦١ م) و«كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (ـ ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٧ م) و«إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»

(١) لمزيد من التفصيل راجع ما كتبه المؤلف عن ابن النديم وكتابه الفهرست في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، العدد السابع (١٩٧٧)، ص ٤٦١ ـ ٤٧٨.

و «هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»[1] وكلاهما لإسماعيل البغدادي (ـ ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢٠ م) و «معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف إليان سركيس (ـ ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٢ م)[2] و «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لأغا بزرك الطهراني (ـ ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٠ م).

ونحن نذكر هذه الكتب بالذات لأن كلاً منها يمثل مرحلة متميزة فالفهرست هو أقدم وثيقة شاملة تبين مبلغ ما وصلت إليه الحياة العقلية الإسلامية في عصر من أزهى عصور الحضارة وهو عصر بني العباس، ولولاه لضاعت أسماء كثير من كتب تراثنا وأوصافها كما ضاعت الكتب نفسها ضحية الغزوات الخارجية والفتن الداخلية التي تعرضت لها الأمة الإسلامية فيما بعد. و «مفتاح السعادة» مصدر أصيل وانعكاس صادق وأمين للحياة الفكرية للمسلمين بعد الغزو المغولي. و «كشف الظنون» ليس أضخم البيليوجرافيات العربية وأشملها فحسب، وإنما هو يمثل الرؤية البيليوجرافية الواضحة ويمثل أيضاً الصورة الواقعية للحياة الفكرية العربية حتى القرن الحادي عشر للهجرة لأن أغلب الكتب التي ذكرها موجودة بالفعل بخلاف الكتب التي وردت في فهرست ابن النديم والتي فقد معظمها. أما «معجم المطبوعات» فيمثل مرحلة الطباعة منذ دخلت الشرق العربي في أواخر القرن الثامن عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. وأما «الذريعة» فهو أوفى ثبت بما صنفه مؤلفو الشيعة على مرّ العصور.

وكل هذه البيليوجرافيات يصدق عليها ما سبق أن ذكرناه من أنها

---

(١) هو كشاف بأسماء المؤلفين الذين وردوا في «كشف الظنون» وذيله مع ذكر مصنفات كل منهم.

(٢) وهو يغطي ما طبع باللغة العربية في الشرق والغرب منذ ظهرت الطباعة حتى سنة ١٣٣٩ هـ/ ١٩١٩ م. ويكمله «جامع التصانيف الحديثة» الذي أصدره سركيس في جزءين يغطي أولهما الفترة من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٦ ويغطي الثاني مطبوعات سنة ١٩٢٧.

أعمال عامة لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا موضوع وإنما هي تستوعب المؤلفات العربية في كل علم وفي كل عصر وفي كل بيئة من البيئات. وأكثر من هذا نرى بعضها لا يكتفي بحصر الكتب الكاملة وإنما يضيف إليها أجزاء الكتب كما فعل صاحب «مفتاح السعادة»، ونرى بعضها الآخر يتجاوز المؤلفات العربية إلى ما كتب باللغة التركية والفارسية كما هو الحال في «كشف الظنون» وذيله، وإلى ما ترجم من اللغات الأجنبية إلى لغة العرب كما في «الفهرست» و «كشف الظنون» و «معجم المطبوعات». ولعل الفارق الجوهري بين «معجم المطبوعات» وبقية الكتب التي ذكرناها أن تلك الكتب تتعاون معاً في تغطية ميدان المخطوطات العربية بينما «معجم المطبوعات» يقصر نفسه على المطبوع دون المخطوط. وفي هذا الإطار يتحرك سركيس دون قيد أو شرط في محاولة رائدة لتجميع كل ما طبع بلغة العرب سواء كان تأليفاً أو ترجمة، وسواء طبع في الشرق أم في الغرب منذ ظهور الطباعة حتى سنة ١٩١٩.

وقد اتبعت هذه الكتب الببليوجرافية أساليب متباينة في التنظيم. فبعضها رتب مادته ترتيباً موضوعياً وتحت كل موضوع أسماء الذين ألفوا فيه وعناوين كتب كل منهم كما هو الحال في كتابي «الفهرست» و «مفتاح السعادة» حيث قسمت مادة الكتاب الأول إلى عشر مقالات يتناول كل منها موضوعاً من موضوعات المعرفة المتاحة في ذلك الزمان كالفقه والنحو والشعر والأخبار والفلسفة والعلوم، ووزعت مادة الكتاب الثاني على طرفين يضمان سبع دوحات تنقسم كل منها إلى عدد من الشعب، وكل شعبة تتفرع إلى علوم، وكل علم ينقسم إلى فروع وهكذا. ولقد تمادى صاحب «مفتاح السعادة» في التشجير وأسرف في تفتيت الموضوعات حتى لقد جعل من مواقيت الصلاة علماً ومن نزول الغيث علماً، ونتج عن ذلك أنه لم يجد مؤلفين ولا مؤلفات في بعض العلوم كعلم استنباط المعادن وعلوم الطيرة والشعبذة والتخيلات.

أما «كشف الظنون» وذيله وكتاب «الذريعة» فالترتيب فيهما هجائي

بعناوين الكتب وإن كان «كشف الظنون» وذيله قد انفردا بأنهما يذكران العلوم ويعرِّفان بها في مواضعها من الترتيب الهجائي. فعلم الحديث ـ مثلاً ـ يأتي ذكره والتعريف به في مكانه تحت حرف الحاء، أما كتب الحديث فيذكر كل منها في موضعه من الترتيب الهجائي. فالجامع الصحيح للبخاري يأتي في حرف الجيم، وسنن أبي داود يأتي في حرف السين، وموطأ مالك يأتي في حرف الميم.

كذلك انفرد هذان الكتابان بذكر الشروح والاختصارات والحواشي والتعليقات التي عملت حول كل كتاب من الكتب بعده مباشرة في ترتيب هجائي بالعناوين أيضاً. ومع أن هذه الطريقة في الترتيب لها ما يبررها من حيث ربط الفروع بأصولها. ولها قيمتها بالنسبة لمن يقومون بعمل دراسة عن كتاب من الكتب حيث يجدون معه كل ما عمل حوله من دراسات، إلَّا أنها تسبب بعض الصعوبات للباحثين. فكتاب ابن هشام «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» ـ مثلاً ـ يحمل في عنوانه ما يربطه بالأصل ويشده إليه، بينما لا تتضح هذه الرابطة في شرح آخر للألفية مثل «بُلغة ذي الخصاصة في حل الخلاصة» لمحمد بن محمد الأسدي القدسي.

والطريقة الثالثة من طرق الترتيب التي اتبعتها الببليوجرافيات العامة هي الترتيب الهجائي بأسماء المؤلفين، ثم ترتيب كتب المؤلف الواحد هجائياً بعناوينها، ويمثلها «هدية العارفين» و «معجم المطبوعات» على ما بين الكتابين من خلاف في التفاصيل. فأولهما يرتب بالإسم الأول بصرف النظر عن الكنى والألقاب، ثم يرتب المتفقين في اسم واحد ترتيباً زمنياً تصاعدياً حسب تواريخ الوفاة بغض النظر عن أسماء آبائهم أو أجدادهم. وتلك طريقة مجهدة للباحثين وقد حاول اسماعيل البغدادي أن يخفف من حدتها فوضع ألقاب المؤلفين وأسماء شهرتهم على يمين الأسماء حتى لا يضطر الباحث الذي لا يعرف تاريخ وفاة المؤلف إلى قراءة أسماء كافة المؤلفين الذين يشاركونه في اسمه الأول وإنما يكفيه أن يمر مروراً سريعاً على هذه

الألقاب حتى يعثر على المؤلف الذي يبحث عنه. ونضرب على ذلك مثالاً بالصولي واسمه أبوبكر محمد بن يحي بن عبد الله وتاريخ وفاته هو سنة ٣٣٥هـ، فيوضع مع المحمدين ويرتب حسب تاريخ وفاته بصرف النظر عن إسم أبيه، وبصرف النظر عن كنيته ولقبه الذي يتقدم اسمه هكذا:

الصولي: محمد بن يحي بن عبد الله بن العباس... أبوبكر الصولي، المتوفي سنة ٣٣٥.

أما «معجم المطبوعات» فيلتزم الترتيب الهجائي الدقيق ولكن بأسماء الشهرة للمؤلفين مع احتساب «ابن» و«أبو» في الترتيب، فابن حزم وأبو الفدا يأتيان في حرف الألف وليسا في حرفي الحاء والفاء. وتحت كل مؤلف تذكر مؤلفاته مرتبة هجائياً. وفي آخر الكتاب رتبت الكتب التي لم يعلم مؤلفوها ترتيباً هجائياً بعناوينها[١].

وطبيعي أن يكون التفاوت بين تلك الكتب البيليوجرافية شديداً في عدد الكتب التي تحصيها[٢] وفي البيانات التي تعطيها عن الكتب ومؤلفيها. فالفهرست ــ مثلاً ــ وإن كان يغلب عليه الإيجاز حتى ليكاد يكون سرداً لأسماء المؤلفين وعناوين كتبهم، إلاّ أننا نجده يصف بعض الكتب ويحدد أحجامها كأن يقول إن الكتاب ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف ورقة. وهو لا يكتفي بذلك وإنّما يحدد لنا حجم الورقة التي يعنيها فيقول إنها سليمانية تسع عشرين سطراً في الصفحة[٣]. أما «كشف الظنون» فتتفاوت البيانات فيه عن الكتب تفاوتاً بيّناً وإن كان في الغالب والأعم يعطي نبذة عن المؤلف (بلده وصنعته وتاريخ وفاته بالأرقام والحروف) وعن موضوع الكتاب ومحتوياته وطريقة تنظيمها، ويذكر بدايته وتاريخ الانتهاء من تأليفه

---

(١) كذلك يوجد كشاف بالعناوين.

(٢) من حوالي ٢٠٠٠ في مفتاح السعادة إلى حوالي ١٥٠٠٠ في كشف الظنون وحوالي ١٩٠٠٠ في ذيله.

(٣) الفهرست، ص ١٥٩.

وحجمه. وقد يضيف إلى ذلك بيانات عن سبب تأليف الكتاب وآراء العلماء فيه. وعلى نفس المنوال سار البغدادي في «إيضاح المكنون» وآغا بزرك الطهراني في «الذريعة» مع شيء من الإيجاز ومع إضافة معلومتين جديدتين في بعض الأحايين هما: أسماء المكتبات التي يوجد فيها الكتاب[1]، وبيان ما إذا كان قد طبع. والمعلومة الأولى لم يتنبه حاجي خليفة لأهميتها، أما المعلومة الثانية فلا لوم عليه في إهمالها لأن الطباعة لم تكن قد خرجت إلى حيز الوجود بعد. فإذا انتقلنا إلى «معجم المطبوعات» وجدناه يكتفي بذكر عنوان الكتاب وموضوعه وتاريخ طبعه ومكان الطبع وعدد الصفحات إن تيسر له الوقوف عليه.

أما بالنسبة لمؤلفي الكتب، فبينما حرصت بعض الببليوجرافيات على أن تترجم لهم كما هو الحال في «مفتاح السعادة»، نجد التراجم في «الفهرست» تكاد تقتصر على المشاهير رغم ما وعد به ابن النديم في مقدمته من أنه سيذكر الكتب «وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم». أما في «الذريعة» و«معجم المطبوعات» فلا تراجم على الإطلاق، وكل ما حرصا عليه هو ذكر تواريخ المؤلفين، فإن تيسر لهما تاريخ ميلاد المؤلف ووفاته فبها ونعمت، وإلاَّ فيكتفي بأحدهما. ولا شك أن الرؤية الببليوجرافية عند حاجي خليفة وسركيس وآغا بزرك الطهراني كانت أوضح منها عند ابن النديم وطا شكبرى زاده اللذين اختلطت الببليوجرافيا بالتراجم في كتابيهما.

وليس هذا هو كل ما نجده بين تلك الأعمال الببليوجرافية من تفاوت فيما تقدمه من معلومات عن الكتب، فبعضها يكتفي بالوصف

---

(١) ولم يثبت صاحب «الذريعة» من مظان الكتب إلاَّ المكتبات العامة نظراً لكثرة انتقال المخطوطات من مكتبة لأخرى.

كالذريعة ومعجم المطبوعات وإيضاح المكنون، وبعضها الآخر يتجاوز الوصف إلى تقييم الكتب والمؤلفين كما في «مفتاح السعادة» وبعض المواضع من «الفهرست». ومن الأمثلة على ذلك أننا نجد ابن النديم يصف السري بن أحمد الكندي بأنه «شاعر مطبوع كثير السرقة عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف»[1]، ويصف أبا العباس عبد الله بن اسحق بن سلام المكاولي بأنه «كان حسن العلم بالغريب والفقه والآثار والشعر صدوقاً شاعراً»[2]، ويقول عن كتاب «الأوراق» للصولي إن مؤلفه «عوّل عند تأليفه على كتاب المريدي في الشعر والشعراء، بل نقله نقلاً وانتحله، وقد رأيت دستور الرجل في خزانة الصولي فافتضح به»[3]. ويتحدث عن نسبة كتاب «البستان» للفتح بن خاقان ثم يعلق على ذلك بقوله: «والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل»[4].

وإذا كان الببليوجرافيون في العصر الحديث مطالبين برؤية الكتب التي يسجلونها في قوائمهم الببليوجرافية كنوع من الضمان لصحة البيانات التي يذكرونها عنها، فلقد سبق العرب إلى إقرار هذه القاعدة والسير على هذا المبدأ منذ عصر ابن النديم إلى عصر سركيس، ومن أراد دليلاً على ذلك فليرجع إلى «الفهرست» فستطالعه من حين لآخر عبارة «هذا الكتاب رأيته» أو «رأيت بعضه ولم أره كاملاً» أو «هذا ما رأيناه من كتبه». وأضعف الإيمان أن يقول: «قرأت بخط فلان» أو «وجدت بخط فلان وكان صدوقاً» و «هذا الكتاب حدثنا عنه الثقات». ونفس الشيء نجده عند طاشكبرى زاده ومن أتى بعده من الببليوجرافيين.

---

(١) الفهرست، ص ١٦٩.
(٢) الفهرست، ص ١١٤.
(٣) الفهرست، ص ١٥١.
(٤) الفهرست، ص ١١٧.

وكما سبق العرب إلى تقرير مبدأ رؤية الكتب، كذلك سبقوا إلى استعمال الإحالات كوسيلة إرشادية لتيسير وصول الباحث إلى ما يريد. وأقدم الإحالات في البيليوجرافيات العربية نجدها عند حاجي خليفة في «كشف الظنون» ولو أنه لم يتوسع فيها كما كان ينبغي، ثم تكتمل صورتها في «معجم المطبوعات» لسركيس.

ولقد شهد العصر الحديث ظهور عملين ببليوجرافيين أجنبيين عن التراث العربي على درجة كبيرة من الأهمية والضخامة والشمول. كلاهما ألماني، وكلاهما يحاول أن يقدم حصراً شاملاً لتراثنا المخطوط الموجود في مختلف مكتبات العالم عن طريق ذكر المؤلفين وإعطاء ترجمات مختصرة لهم، ثم تحديد المصادر التي ترجمت لكل واحد منهم، وحصر ما بقي من مؤلفاتهم وذكر أماكن وجود النسخ المختلفة من تلك المؤلفات وأرقامها في مكتباتها أو في فهارس تلك المكتبات وبيان الطبعات الأساسية لكل كتاب وما عمل حوله من تعليقات أو تراجم أو شروح أو نقد أو اختصار.

فأما أولها فهو «تاريخ الأدب العربي» Geschichte der Arabischen Litteratur لكارل بروكلمان (Carl Brockelmann)، وأما الثاني فهو «تاريخ التراث العربي» Geschichte des Arabis chen Schrifttums لفؤاد سيزگين (Fuat Sezgin). وواضح أن كلمة «الأدب» التي وردت في عنوان الكتاب الأول لا يقصد بها معناها الاصطلاحي الضيق الذي ينحصر في الجيد من الشعر والنثر، وإنما تتسع لتشمل تراث الأمة العربية كلها في مختلف فروع المعرفة. وقد استثنى بروكلمان من هذا التراث فئتين هما:

(أ) الأعمال المجهولة المؤلف.

(ب) الأعمال المسيحية واليهودية التي تتصل بالعبادات والتي لا تستخدم الا في الكنائس والبِيَع.

وقد نهج كل من الكتابين نهجاً مخالفاً لصاحبه في طريقة عرض

مادته. فأما أولها فقد اتخذ العصور والدول أساساً للترتيب مبتدئاً بالعصر الجاهلي ومنتهياً إلى العصر الحديث، وتحت كل عصر من العصور يقسم بالموضوعات، وتحت كل موضوع رتب المؤلفون ترتيباً تاريخياً أيضاً (من القديم إلى الحديث). وتحت كـل منهم ثبت بما بقي لنـا من نسـخ مؤلفاته[1]. وقد نتج عن ذلك صعوبة البحث في الكتاب وتوزيع الموضوع الواحد على مختلف العصور التاريخية. فهناك الشعر في العصر الجاهلي، والشعر في عصر النبي وصدر الاسلام، والشعر في العصر الأموي، والشعر في العصر العباسي، وهكذا.

وليست التضحية بالوحدة الموضوعية هي العيب الوحيد الذي يؤخذ على كتاب بروكلمان، فقد يكون لها ما يبررها على أساس أن الرجل أراد أن يعطي صورة للفكر العربي في تطوره مع التاريخ، وقدم كشافين بالمؤلفين والعناوين تيسيراً على الباحث الذي لا يعرف غير اسم المؤلف أو عنوان الكتاب، وإنما هناك عيبان آخران يؤخذان على هذا الكتاب هما:

(أ) أن المؤلف بعد أن أصدر كتابه في جزءين سنة ١٨٩٨، ١٩٠٢ تجمعت لديه مادة غزيرة رتبها بنفس ترتيب الأصل وأصدرها في ملحقين سنة ١٩٣٧، ١٩٣٨، ثم أصدر ملحقاً ثالثاً عن الأدب الحديث سنة ١٩٤٢ وبآخره كشافات الكتاب. وقد أعيد طبع الجزءين الأولين في عامي ١٩٤٣، ١٩٤٩ فاختلفت صفحاتها عن صفحات الطبعة الأولى. ولكي يحتفظ بروكلمان للكشافات بقيمتها ذكر أرقام صفحات الطبعة الأولى في هوامش هذه الطبعة الثانية.

ولقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن المادة الواحدة لم تعد مشتتة بين العصـور التاريخيـة فحسب، وإنما أصبحت مشتتـة أيضاً بـين الأصل والملاحق.

---

(١) ولعل ذكر عناوين المؤلفات تحت أسماء مؤلفيها هو الذي جعل بروكلمان يستبعد الأعمال المجهولة المؤلف، أما استبعاد المؤلفات التي لا تستخدم الا في الكنائس والبيع فلأنها لا تمثل إلا نقطة ضئيلة جداً في دائرة التراث العربي.

(ب) أن المؤلف قد اعتمد في جمع مادته على فهارس المكتبات بكل ما فيها من صور النقص والقصور. فمعروف أن هناك نسبة كبيرة جداً من المخطوطات العربية في مختلف أنحاء العالم لم تنشر لها فهارس حتى الآن. ومن الأمثلة الصارخة على ذلك مخطوطات تركيا التي لم يفهرس معظمها بعد. بل إن دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة لم تنشر حتى الآن فهرساً شاملاً لمجموعتها المخطوطة، وما نشر يعتبر حلقات منفصلة في سلسلة لم تكتمل. فهناك ــ مثلاً ــ المكتبات الخاصة كالتيمورية والزكية وطلعت وحليم وغيرها لم تدخل مخطوطاتها في أي من الفهارس التي نشرتها دار الكتب.

وهكذا أغفل بروكلمان عدداً هائلاً من المخطوطات العربية لأنه لم يذكر فيما نشر من فهارس المكتبات. وأكثر من هذا فقد وقع في كل ما وقعت فيه الفهارس من أخطاء في المعلومات أو في الطباعة ومن نقص في البيانات.

ولقد فكر سيزگين أول الأمر في أن يصدر ملاحق جديدة تكمل عمل بروكلمان ولكنه لم يلبث أن تبين أن العمل سيكون أضخم مما توقع، فآثر أن يصدر كتاباً جديداً يضم مادة كتاب بروكلمان ويستكملها ويتدارك الأخطاء السالف ذكرها. ومن ثم لم ينشر منه شيئاً إلاّ بعد اكتمال مادته تحت يديه حتى لا يضطر إلى ما اضطر إليه بروكلمان من قبل من إصدار الملاحق، ولم يرتب مادته ترتيباً زمنياً كما فعل بروكلمان وإنما رتبها ترتيباً موضوعياً مع تعريفات مفصلة للعلوم، ومع التقسيم بالمكان حينما يتسع عليه موضوع من الموضوعات. ولم يعتمد سيزگين على الفهارس كما فعل صاحبه وإنما حرص على رؤية الكتب بنفسه، وذلك عبء كبير اضطره إلى أن يحدد المجال الزمني لكتابه فتوقف به عند سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

وقد جمع سيزگين مادة كتابه هذا من قرابة مائة دولة رجع فيها إلى أعداد ضخمة من المكتبات بلغت سبعاً وتسعين مكتبة في استانبول وحدها.

ومع أنه يذكر نفس المعلومات التي كان يذكرها بروكلمان عن المؤلفين والكتب، إلاّ أن رؤيته للمخطوطات نفسها قد أتاحت له أن يضيف معلومتين جديدتين هما: عدد صفحات المخطوط وتاريخ نسخه، وهما معلومتان في غاية الأهمية لأن أولاهما تعطينا فكرة عن حجم الكتاب والثانية ـ وهي الأهم ـ تبين لنا مدى قدمه ومدى أصالته، وبعبارة أخرى: مدى قربه من عصر المؤلف ونسخته الأصلية.

ولقد كان الرجل أميناً مع نفسه ومع بروكلمان فكان يبدأ بالكتب التي سبقه بروكلمان إلى ذكرها، ثم يذكر إضافاته ويميزها بوضعها بين العلامتين⊕.... ⊙.

والكتاب بعد هذا مزود بمجموعة ممتازة من الفهارس والكشافات. فهناك إلى جانب كشافات المؤلفين والعناوين والمؤلفين المحدثين والمحققين، قوائم المراجع ومختصرات أسماء المكتبات وأسماء الدول والمدن التي توجد بها تلك المكتبات وما استعان به من فهارسها.

وإدراكاً لقيمة هذين العملين الكبيرين بدأت ترجمة الكتاب الأول إلى اللغة العربية وصدرت منه ثلاثة أجزاء في الفترة من سنة ١٩٥٩ إلى سنة ١٩٦٢، مزج فيها المترجم[1] بين مادة الأصل والملاحق، ثم وافته المنية فتوقف العمل بضع سنين حتى استأنفه الدكتور سيد يعقوب بكر إلى أن توفاه الله. وفي أثناء فترة التوقف هذه ظهر كتاب سيزگين[2] ورئي أنه أكمل وأوفى وأدق بالنسبة للفترة التي يغطيها، فاتجهت النية إلى نقله إلى

---

(١) الدكتور عبد الحليم النجار عليه رحمة الله، وقد ترجمه بتكليف من الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

(٢) صدر منه خمسة أجزاء حتى الآن: ج ١، عن علوم القرآن والحديث والتاريخ والفقه والعقائد والتصوف (١٩٦٧)، ج ٢، عن الشعر (١٩٧٥)، ج ٣، عن الطب والصيدلة والحيوان (١٩٧٠)، ج ٤، عن الكيمياء والنبات والزراعة (١٩٧١)، ج ٥، عن الرياضة (١٩٧٤).

العربية وصدرت ترجمة الجزء الأول منه في مجلدين نشرا في عامي ١٩٧١ و ١٩٧٨[١].

* * *

وإذا تركنا هذا الخط العام الذي سارت فيه الببليوجرافيات العربية القديمة والببليوجرافيات الحديثة المتصلة بتراثنا العربي والذي يتميز بإطلاق حدود الزمان والمكان والموضوع، وانتقلنا إلى الأعمال الببليوجرافية الحديثة سواء منها العربي والأجنبي وجدناها تندرج في جملتها تحت فئات ثلاث:

١ ــ فئة تقيد المكان والزمان وتطلق الموضوع، وهي الببليوجرافيات الوطنية التي تحصي إنتاج أمة من الأمم في مختلف مجالات المعرفة في فترة محددة من فترات تاريخها الحاضر أو الماضي.

٢ ــ وفئة تقيد المكان وتطلق الزمان والموضوع، وهي القوائم التي تحصى الكتب المتاحة في أسواق بلد من البلاد بصرف النظر عن مكان نشرها وتاريخه.

٣ ــ وفئة تقيد الموضوع وتطلق الزمان والمكان أو تقيد أحدهما وتطلق الآخر، وهي الببليوجرافيات الموضوعية التي تجمع الإنتاج الفكري في موضوع من الموضوعات دون تقيد بزمان نشره ومكانه، وقد تقيد المكان فتقتصر على ما نشر عن هذا الموضوع في بلد من البلاد.

ونبدأ **بالببليوجرافيات الوطنية أو القومية** (National Bibliographies) وهذه قد تكون أعمالاً كاملة تغطي إنتاج الأمة في فترات سابقة وهي ما يطلق عليه المكتبيون الببليوجرافيات الراجعة (Retrospective Bibliographies) وقد تكون أعمالاً تلاحق الإنتاج الحالي أولاً بأول

(١) ترجمة فهمي أبو الفضل ومحمود فهمي حجازي.

وترصده بصفة دورية وهي ما يسمى بالببليوجرافيات الجارية (Current Bibliographies).

فأما الببليوجرافيات الوطنية الراجعة فيمثلها The American Bibliography الذي حاول فيه (Charles Evans) أن يغطي كل ما طبع في الولايات المتحدة من كتب وكتيبات ومجلات منذ ظهور الطباعة في أميركا سنة ١٦٣٩ حتى آخر سنة ١٨٢٠ مرتباً بالسنين، لولا أن عاجلته المنية بعد أن أصدر اثني عشر مجلداً[1] وصل فيها إلى مطبوعات سنة ١٧٩٩، فقام (C.K. Shipton) بإصدار المجلد الثالث عشر الذي يغطي سنة ١٧٩٩/ ١٨٠٠، ومن بعده أصدر (R.P. Bristol) المجلد الرابع عشر وهو كشاف للكتاب، ثم جاء (R.R. Shaw & R.H. Shoemaker) فأكملا الكتاب باثنين وعشرين مجلداً التسعة عشر الأولى منها تغطي من سنة ١٨٠١ إلى ١٨١٩[2] لكل سنة منها مجلد مستقل، والمجلد العشرون يضم ملحقاً وقائمة بالمصادر ودليلاً برموز المكتبات، بينما خصص المجلد الحادي والعشرون للتصويبات وكشاف المؤلفين، والمجلد الثاني والعشرون لكشاف العناوين. وفي سنة ١٩٦٤ أصدر شوميكر ذيلاً للكتاب يغطي سنة ١٨٢٠ بعنوان: A Check List of American Imprints for 1820.

وكما حاول إيفانز حصر ما صدر في الولايات المتحدة الأميركية في فترات مضت، بذلت محاولتان لحصر الإنتاج الفكري الذي صدر في مصر في الفترة ما بين سنة ١٩٢٦ التي توقف عندها سركيس في كتابه «جامع التصانيف الحديثة» وسنة ١٩٥٥ التي صدرت فيها النشرة المصرية للمطبوعات، فجمعت عايدة نصير «الكتب المصرية التي نشرت في

---

(١) صدرت في الفترة من سنة ١٩٠٣ إلى ١٩٣٤ وهي تعطي تعليقات ببليوجرافية وتراجم مختصرة، وكثيراً ما تحدد أماكن وجود النسخ. وكل مجلد مزود بثلاثة كشافات أحدها للمؤلفين والآخر للموضوعات (مصنفة) والثالث للطابعين والناشرين.

(٢) صدرت سنة ١٩٥٨ ــ ١٩٦٦.

ج. م. ع. بين عامي ١٩٢٦ ــ ١٩٤٠» في رسالة لها للحصول على الماجستير من قسم المكتبات بجامعة القاهرة، وجمع أحمد منصور وآخرون «دليل المطبوعات المصرية؛ ١٩٤٠ ــ ١٩٥٦». والعملان نشرتهما الجامعة الأميركية بالقاهرة في عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٥ على التوالي، وهما يتبعان التصنيف العشري في ترتيب موادهما، ويضمان كتب الأطفال والكتب المدرسية، ولكن أولهما ينفرد بأنه استبعد المجلات والترجمات والمطبوعات الحكومية وما في حكمها من نصوص القوانين، بينما ينفرد «دليل المطبوعات» بتخصيص قسم للرسائل الجامعية. وفي كل من القائمتين كشاف للمؤلفين وآخر للعناوين، وأضاف «دليل المطبوعات» كشافين آخرين أحدهما للرسائل والآخر للموضوعات.

وما حدث بالنسبة لمصر، حدث بالنسبة للعراق وليبيا والجزائر وفلسطين والأردن. ففي العراق صدر «فهرست المطبوعات العراقية ١٨٥٦ ــ ١٩٧٢»[1] في مجلدين ضخمين يحصيان الكتب العربية التي ألفها أو حققها أو ترجمها أو نشرها العراقيون وطبعت في العراق أو خارجه، بالإضافة إلى كل ما طبع في العراق للعراقيين وغيرهم منذ دخول الطباعة حتى عام ١٩٧٢ وهو العام التالي لبداية صدور «نشرة الإيداع للمطبوعات العراقية»، كما يحصيان الرسائل الجامعية التي قدمها العراقيون إلى الجامعات العراقية وغير العراقية، والخرائط والأطالس والمصورات والمطبوعات الحكومية والمستلات التي استخرجت من مجلات نشرت فيها أصلاً على شكل مقال. ولكنهما يستبعدان المجلات والصحف وكتب الأطفال والكتب الدراسية والتقارير الرسمية السنوية والقوانين ونشرات الدعاية والإعلانات التجارية والكتب والرسائل المطبوعة بالرونيو. وقد رتبت المواد في هذا الفهرست وفق التصنيف العشري «مع بعض التعديلات التي تقتضيها

---

(١) إعداد عبد الجبار عبد الرحمن، بغداد، ج ١ سنة ١٩٧٨، ج ٢، سنة ١٩٧٩.

طبيعة الكتب العربية»[1]، وتحت كل موضوع رتبت المداخل بالعناوين. وختم العمل بكشافين أحدهما للعناوين والآخر للمؤلفين والمحررين والناشرين ومن في حكمهم.

وفي ليبيا صدرت «الببليوغرافية الوطنية الليبية» سنة ١٩٧٢ في ثلاثة مجلدات خصص أولها للدوريات التي صدرت في ليبيا منذ دخول الطباعة في سنة ١٨٦٦ إلى ١٩٧١، والثاني للكتب والتقارير والبحوث الصادرة خلال الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٧١، والثالث للكتب والتقارير والبحوث الصادرة خلال عام ١٩٧١. وقد رتبت جميعها ترتيباً موضوعياً وفق تصنيف دوري، وتحت كل موضوع رتبت المداخل بالعناوين في المجلد الخاص بالدوريات وبالمؤلفين في المجلدين الآخرين. وختم المجلد الأول بكشاف للعناوين وآخر للموضوعات وثالث رتبت فيه الدوريات ترتيباً زمنياً، كما ختم المجلدان الآخران بكشاف موضوعي وآخر للمؤلفين.

وفي الجزائر صدر «الإنتاج الفكري الجزائري في عشر سنوات، ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢»[2] وهو يخصص القسم الأول منه للإنتاج المكتوب باللغة العربية سواء نشر بالجزائر أو خارجها، ويقتصر على الكتب والمقالات والأطروحات في العلوم الإنسانية، ويستبعد ما ألف في العلوم البحتة والتطبيقية، كما يستبعد الكتب المدرسية والمقالات التي نشرت في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية. وقد رتبت المواد فيه وفق الخطوط العريضة لموضوعات التصنيف العشري العالمي مع جعل الأطروحات في قسم خاص بها يسير على نفس الطريقة في الترتيب. وتحت كل موضوع رتبت المواد هجائياً بأسماء المؤلفين، وختم بكشافات للمؤلفين والمشاركين والهيئات والعناوين.

---

(١) فهرست المطبوعات العراقية، ج ١، ص ١٠.

(٢) إعداد محمود بو عياد وعائشة خمار. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤.

وفي عمان صدرت «البيليوغرافيا الفلسطينية الأردنية» في إصدارتين تغطي أولاهما المؤلفات العربية والأجنبية «التي وضعها فلسطينيون وأردنيون أينما وجدوا وحيثما كانوا»[1] في الفترة من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٠، وتغطي الثانية السنوات الخمس التالية ١٩٧١ ــ ١٩٧٥. وقد استبعدت هذه القائمة المطبوعات الحكومية والكتب الدراسية، ورتبت موادها تبعاً لتصنيف ديوى مع تعديلات طفيفة في الموضوعات الإسلامية والعربية أدباً ولغة وتاريخاً، وتحت كل موضوع رتبت المداخل بالمؤلفين، وختمت القائمة بكشافات للمؤلفين والموضوعات والعناوين.

وهذه الأمثلة التي ذكرناها للببليوجرافيات الراجعة تعكس اهتمام الدول العربية في السنوات الأخيرة بحصر ما صدر من إنتاجها الفكري فيما مضى من السنين. وهو اهتمام يتزايد يوماً بعد يوم، ويعكس الوعي الكامل بأن حصر الإنتاج الفكري الذي يصدر اليوم أيسر بكثير من حصر ما سبق. ولعله يأتي يوم قريب تكتمل فيه الصورة الببليوجرافية لإنتاج الأمة العربية من الخليج إلى المحيط.

تلك لمحة سريعة عن الببليوجرافيات الوطنية الراجعة، أما الجارية فهي التي تتولى الدول إصدارها في محاولة منها لحصر إنتاجها الفكري، وغالباً ما تنهض بها المكتبات القومية التي يصبُّ فيها الإنتاج الفكري والفني للأمة عبر قانون الإيداع. ومن أمثلة هذا النوع من الببليوجرافيات:

— British National Bibliography (BNB), 1950 —

— Bibliographie de la France, 1811 —

— Deutsche National bibliographie, 1931 —

— The Indian National Bibliography, 1958 —

— The Pakistan National Bibliography, 1962 —

---

(١) محمود الأخرس: البيليوغرافيا الفلسطينية الأردنية، ١٩٧١ ــ ١٩٧٥. ص ٤. عمان، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٧٦.

— Australian National Bibliography, 1961—.

— Ghana National Bibliography, 1965—

ـ النشرة المصرية للمطبوعات، ١٩٥٥ ـ (وقد تحولت إلى: نشرة الإيداع القانوني منذ سنة ١٩٦٩)[١].

ـ الفهرس الوطني للمطبوعات العراقية، ١٩٧٨[٢] ـ

ـ البيليوغرافيا الجزائرية، ١٩٦٣ ـ

ـ البيليوغرافيا الوطنية الأردنية، ١٩٧٩ ـ

ـ البيليوغرافية العربية الليبية، ١٩٧٣[٣] ـ

ـ النشرة البيليوغرافية اللبنانية للإنتاج الفكري والطباعي في لبنان، ١٩٦٤ ـ

ولهذه البيليوجرافيات الوطنية أهمية كبرى، فهي ـ من ناحية ـ تظهرنا على مستوى النشاط الفكري وصناعة النشر وجوانب القوة والضعف فيهما في البلاد التي تصدر فيها، وهي ـ من ناحية ثانية ـ أداة لا غنى عنها للباحثين والمكتبيين على السواء. فأما الباحثون فيتعرفون من خلالها على أحدث ما نشر في مجالات بحثهم، وأما المكتبيون فيستعينون بها في اختيار

---

(١) وهي نشرة شهرية صدرت لها عدة تجميعات أحدها يغطي السنوات ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠، والآخر يغطي سنة ١٩٦١/١٩٦٢، والثالث يغطي سنة ١٩٦٣.

(٢) وقد سبقه «نشرة الإيداع للمطبوعات العراقية» التي بدأت تصدرها المكتبة الوطنية في بغداد على إثر صدور قانون الإيداع سنة ١٩٧٠، وقد صدر منها ١٣ عدداً غطت الفترة من سنة ١٩٧١ إلى سنة ١٩٧٦ ثم صدرت الأعداد ١٤ ـ ١٦ تغطي عامي ١٩٧٦، ١٩٧٧ باسم «البيليوغرافية الوطنية العراقية». وابتداء من العدد ١٧ تغير العنوان إلى: «الفهرس الوطني للمطبوعات العراقية». ومنذ العدد ١٥ بدأت هذه البيليوجرافية تضم قسمين أحدهما البيليوجرافية الجارية والآخر البيليوجرافية الراجعة.

(٣) هي امتداد للبيليوغرافية الوطنية الليبية التي صدرت سنة ١٩٧٢.

ما يناسب مكتباتهم، كما أنهم يجدون فيها أداة لتأصيل وتوحيد نظم الفهرسة والتصنيف التي تتبعها المكتبة الوطنية والتي ينبغي أن تسترشد بها بقية المكتبات في الدولة.

وتختلف الببليوجرافيات الوطنية في نظرتها للإنتاج الفكري للأمة وهل يقتصر على ما نشر داخل البلد أم يمتد إلى كل ما نشره مؤلفون ينتمون إليه حتى ولو تمّ النشر خارج حدوده، أم يتجاوز ذلك إلى كل ما نشر عن البلد بصرف النظر عن جنسية مؤلفه ومكان نشره.

فالببليوجرافيات الوطنية المصرية والأردنية والبريطانية والفرنسية والهندية ــ مثلاً ــ تقتصر على ما طبع في أوطانها[1]، والألمانية لا تكتفي بما نشر في ألمانيا وحدها وإنما تضيف إليه كثيراً مما نشر في سويسرا والنمسا لأنها تتخذ اللغة الألمانية أساساً في التجميع، بينما تفسح الببليوجرافيات الوطنية للعراق وليبيا وغانا المجال لكل ما صدر عن أبناء الوطن ومواطنيه سواء تم النشر داخل البلد أو خارجه. وتمضي الاسترالية إلى ما هو أبعد من ذلك فتضم ما نشر عن استراليا في الخارج سواء كتبه الاستراليون أو غيرهم.

كذلك تختلف تلك الببليوجرافيات في مدى شمولها وفي المواد التي تستثنيها، صحيح أن الببليوجرافيات الوطنية الجارية يسعى كل عدد منها لتغطية ما نشر في البلد في فترة محددة من الزمان، ولكن بعض الببليوجرافيات التي ذكرناها وجدت أنها في واقع الأمر لا تغطي إنتاج الأمة في الفترة الزمنية المحددة لكل عدد من أعدادها، وإنما هي تحصي ما أضيف إلى المكتبة الوطنية من مطبوعات خلال تلك الفترة، وهذا هو

---

(١) تضم الببليوجرافيا القومية الهندية ما نشر بالإنجليزية بالإضافة إلى ما نشر بثلاث عشرة لغة محلية كالبنغالية والبنجابية والسنسكريتية والأوردية، وتسجل بيانات الكتب في هذه اللغات بالحروف اللاتينية بطريقة النقل الصوتي (Transliteration).

ما حدا بدار الكتب المصرية إلى تغيير إسم «النشرة المصرية للمطبوعات» لتصبح «نشرة الإيداع» حتى تكون التسمية صادقة في الدلالة على محتوياتها.

ومن ناحية أخرى رأت بعض الببليوجرافيات ألا تكتفي بتغطية الإنتاج الفكري للأمة خلال الفترة التي يغطيها كل عدد من أعدادها، وأن تضم إلى ذلك ما أضيف إلى رصيد المكتبة الوطنية خلال تلك الفترة من المطبوعات القديمة التي لم تشملها الببليوجرافية الوطنية في أعدادها السابقة، وهذا ما فعلته «الببليوجرافية الوطنية العراقية» ومن بعدها «الفهرس الوطني للمطبوعات العراقية».

ويتصل بالشمول أيضاً قضية الفئات المستثناة، فبعض الببليوجرافيات الوطنية كالبريطانية والهندية يستبعد الدوريات[1] والموسيقى والخرائط، وبعضها الآخر يذكرها كما هو الحال في الليبية والفرنسية والاسترالية والغانية.

وبينما تجد المطبوعات الحكومية لنفسها مكاناً في الببليوجرافيات الوطنية المصرية والجزائرية والغانية والاسترالية، ويفرد لها قسم خاص بها في العراقية والليبية والفرنسية والهندية، نجد البريطانية (BNB) تستبعد بعض فئاتها.

ومايقال عن الدوريات والمطبوعات الحكومية يصدق في كثير من الأحوال على الكتب المدرسية، فكثير من الببليوجرافيات الوطنية يستبعدها، بينما تُفرد لها أقسام خاصة بها في بعض الببليوجرافيات كالنشرة المصرية للمطبوعات والببليوغرافية العربية الليبية والفهرس الوطني للمطبوعات العراقية.

---

(١) يذكر فقط العدد الأول من كل دورية جديدة.

وطبيعي أن تتفاوت الببليوجرافيات الوطنية في فترات صدورها، فالبريطانية والفرنسية والألمانية أسبوعية[1]، والمصرية والإيطالية شهرية، والأندونيسية والهندية ربع سنوية، والجزائرية نصف سنوية، والأردنية والليبية والغانية والباكستانية والمكسيكية سنوية، والعراقية بدأت سنوية ثم تحولت إلى فصلية منذ سنة ١٩٧٦.

وهذا التفاوت في فترات الصدور يتبعه تفاوت في التجميعات، فما يصدر أسبوعياً يجمع شهرياً، وما يصدر شهرياً وربع سنوي يجمع سنوياً[2]، أما ما يصدر سنوياً فتكون تجميعاته غالباً كل خمس سنوات.

وليس التفاوت في طريقة ترتيب هذه الببليوجرافيات بأقل من التفاوت في عدد مرات صدورها. فبينما يتبع كثير منها تصنيف ديوي العشري كما هو الحال في الببليوجرافيات الوطنية المصرية والأردنية والعراقية والليبية واللبنانية والبريطانية والإيطالية والأندونيسية والهندية (وإن كانت الأخيرة تضيف رقم تصنيف الكولون لكل كتاب)، نجد المكسيكية والجزائرية تتبعان التصنيف العشري العالمي، بينما لا تلتزم الفرنسية والألمانية بخطة تصنيف معينة وإنما تقسمان موادهما إلى رؤوس موضوعات رئيسية لا تتجاوز العشرة في الفرنسية[3] وتبلغ أربعة وعشرين في الألمانية. أما الأسترالية فقد اتبعت ترتيباً يجمع المؤلفين والعناوين والموضوعات والأشكال الأدبية في هجائية واحدة.

---

(١) والاسترالية كانت شهرية حتى سنة ١٩٦٧ ثم أصبحت تصدر ٤ مرات في الشه وتجمع شهرياً ثم سنوياً.

(٢) انظر على سبيل المثال «النتاج الفكري العراقي لعام...» الذي تصدره المكتبة الوطن في بغداد منذ عام ١٩٧٥ متضمناً التجميع السنوي للفهرس الوطني للمطبوعا العراقية مع مستدرك لما فات ذكره فيه.

(٣) كل رأس موضوع من هذه العشرة يتفرع بدوره إلى موضوعات أصغر.

وأيّاً كانت طريقة الترتيب المتبعة، فإن الكشافات ضرورة لا غنى عنها في مثل هذه البيليوجرافيات، ولهذا نجد أكثرها يختم بكشافات للمؤلفين والعناوين والموضوعات.

* * *

فإذا تركنا البيليوجرافيات الوطنية الراجع منها والجاري وانتقلنا إلى الفئة الثانية من الأعمال البيليوجرافية وهي قوائم الكتب وجدناها تصدر ــ عادة ــ بصفة دورية، ويمثلها بالنسبة لأميركا:

— Cumulative Book Index (CBI). N.Y., Wilson, 1898 —

— Books in Print (BIP). N.Y., Bowker, 1948 —

ويقابلهما بالنسبة لبريطانيا:

— Whitaker's Cumulative Book List. London 1924 —

— British Books in Print. London, 1965[1] —

وهي تتفاوت فيما بينها في عدد مرات الصدور. فبينما تصدر (CBI) شهرياً[2] نجد نظيرتها البريطانية (WCBL) تصدر كل ثلاثة شهور، بينما تصدر (BIP) ومثيلتها البريطانية مرة واحدة في السنة.

كذلك تختلف تلك القوائم في مدى سعة كل منها، فالـ(CBI) ــ على سبيل المثال ــ تطمح إلى تغطية كل ما نشر بالإنجليزية ليس فقط في

---

(١) حل محل (The Reference Catalogue of Current Literature) الذي كان يصدر فيما بين سنة ١٨٧٤ و١٩٦١ كل حوالي أربع سنوات.

(٢) كانت تصدر في فترات غير منتظمة وهي الآن تصدر شهرياً ما عدا شهر أغسطس وتجمع سنوياً، ولها تجميعات أكبر قد تصل إلى ست سنوات. وفي أميركا أيضاً (Publisher's Weekly) التي تصدر أسبوعياً منذ سنة ١٧٨٢ وتجمع شهرياً ثم سنوياً منذ سنة ١٩٦٠ باسم (The American Book Publishing Record) وهي مصنفة حسب خطة ديوي العشرية وإن كانت تحمل رؤوس الموضوعات المستخدمة في مكتبة الكونجرس.

الولايات المتحدة وإنما فيها وفي غيرها من الدول، ولهذا نجدها تضم قسمين رئيسيين أولهما خاص بمطبوعات الولايات المتحدة، وكندا وانجلترا مع تمييز المطبوعات البريطانية بالحرفين (G.B.) والكندية بالحروف (Can.) والقسم الآخر للمطبوعات الصادرة في البلاد الأخرى مرتبة هجائياً بأسماء الدول، مع ملاحظة أنها لا تستوعب مطبوعات الدول الأخرى استيعاباً كاملاً كما تفعل بالنسبة لمطبوعات الولايات المتحدة.

وبينما لا تكتفي (Whitaker's) بالكتب الجديدة وإنما تضم الطبعات الحديثة والمعادة للكتب القديمة فضلاً عن الكتب المدرسية وكتب الأطفال، نجد (BIP) تستبعد المطبوعات الحكومية والكتب المرجعية والتجارية والدراسية والمنشورات القانونية المهنية[١] وكتب الأطفال والصغار وبعض الكتب المطبوعة طبعات رخيصة والمدرجة في Paperbound Books in Print[٢].

أما البيانات التي تعطيها تلك القوائم عن الكتب التي تذكرها فهي البيانات البيليوغرافية التقليدية مضافاً إليها ثمن الكتاب. وتنفرد (CBI) بأنها تعطي رقم بطاقة مكتبة الكونجرس لكل كتاب، وبأنها تذكر جميع ناشري الكتاب في مختلف الدول والأسعار التي يباع بها في كل منها.

ومع أن هذه القوائم جميعها تصطنع الترتيب الهجائي، إلاّ أن بعضها يفصل المؤلفين عن العناوين عن الموضوعات ويرتب كلاً منها على حدة كما في (BIP)[٣] وبعضها الآخر يدمجها جميعاً في هجائية واحدة تضم

---

(١) على أساس أن هناك (Textbooks in Print) يصدر سنوياً منذ سنة ١٩٥٦ و (Law Books in Print) الذي صدر سنة ١٩٦٥ في مجلدين وصدرت له عدة ملاحق، والذي يضم كل ما نشر عن القانون باللغة الانجليزية في مختلف أنحاء العالم.

(٢) تنشر شهرياً وينشر لها كشاف تجميعي ثلاث مرات في السنة.

(٣) وهي تستعمل رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس (حوالي ٤٠,٠٠٠) وتسقط من القسم الموضوعي جميع الأعمال التي لا تضع لها مكتبة الكونجرس رأس موضوع كالقصص والمسرحيات والشعر والأناجيل.

المؤلفين والمترجمين والمحررين والعناوين والموضوعات والسلاسل كما تفعل (CBI)، وفئة ثالثة تدمج المؤلف والعنوان معاً في هجائية واحدة وتجعل الموضوع مستقلاً بترتيبه الهجائي كما في (Whitaker's)، وفئة أخرى ترتب ترتيبين أحدهما للمؤلفين والآخر للعناوين، وتستعيض عن الترتيب الموضوعي بإيراد العنوان مرة أخرى مقلوباً كما هو الحال في (British Books in Print).

ولقد ظهرت أول محاولة لإصدار هذا النوع من القوائم في اللغة العربية في السبعينات حينما أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب «دليل الكتاب المصري» سنة ١٩٧٢ مرتباً ترتيباً هجائياً بالعنوان مع كشاف للمؤلفين، وأعادت إصداره في العام التالي في أربعة أقسام: قسم رئيسي وآخر للكتب المدرسية وثالث لكتب الأطفال ورابع للكتب الصادرة بلغات أجنبية[1]. وقد رتبت الكتب داخل كل قسم من هذه الأقسام ترتيباً موضوعياً طبقاً لخطة التصنيف العشري في طبعته العربية المعدلة[2]. وتحت كل موضوع وردت الكتب في ترتيب هجائي بالعناوين. وزوّد الدليل بكشافين: أحدهما للعناوين والآخر للمؤلفين.

ويبدو أن الإحساس بالحاجة إلى قائمة بالكتب المصرية كان يدور في أكثر من رأس وكان يحرك أكثر من هيئة، ففي نفس الوقت تقريباً (في سنة ١٩٧٢) صدر «دليل الكتب المصرية» عن شركة ترادكسيم، وهو دليل موضوعي يلتزم بالتصنيف العشري المعدل مع بعض تعديلات أخرى قصد بها تجميع الموضوع الواحد في مكان واحد كما هو الشأن في تجميع علم النفس بدلاً من تشتيته بين رقمي ١٣٠، ١٥٠ وبينهما المباحث الفلسفية في رقم ١٤٠.

---

(١) وقد قسمت الكتب الأجنبية بدورها إلى قسم رئيسي وآخر للكتب المدرسية وقسم ثالث لكتب الأطفال.

(٢) ترجمة د. محمود الشنيطي ود. أحمد كابش.

وقد رتبت كتب كل موضوع في هذا الدليل ترتيباً هجائياً بأسماء مؤلفيها وخصص قسم مستقل لكتب الأطفال. وزود الدليل بكشاف للمؤلفين وآخر للعناوين، وذيِّل بملحق بالكتب التي صدرت خلال النصف الأول من عام ١٩٧٢.

ولقد بلغ عدد الناشرين الذين أحصى الدليل الأول كتبهم في طبعته الثانية أربعة وأربعين ناشراً، بينما لم يتجاوزوا اثنين وثلاثين ناشراً في الدليل الثاني ومع ذلك فمجموع الكتب المسجلة فيهما متقارب، فهو يقل قليلاً عن الثمانية عشر ألفاً في أولهما، ويزيد قليلاً عن هذا الرقم في الثاني.

والشيء الذي لا شك فيه أن الدليلين لا يعطيان صورة كاملة لحركة النشر في مصر ولا يغطيان جميع الناشرين ولا جميع الكتب المتاحة في الأسواق. ومع ذلك فهما يكملان بعضهما لأن كلاً منهما يستوعب مجموعة من الناشرين تختلف عن تلك التي يستوعبها الآخر.

وطبيعي أن تواجه المحاولات الأولى في أي مجال صعوبات جمة، وأن يقع هذان الدليلان في أخطاء كثيرة سواء في المداخل أو في التصنيف أو في الترتيب. ولقد استفاد الدليل الأول من هذه الأخطاء وبدأ يتلافاها سنة وراء أخرى. بينما توقف «دليل الكتب المصرية» بعد أول إصدارة له.

ونأتي بعد ذلك إلى الفئة الثالثة من التجميعات الببليوجرافية وهي الببليوجرافيات الموضوعية المتخصصة التي تعرِّف الباحثين بمصادر المعلومات المتاحة في مجالات تخصصهم، وتفيد في تخطيط البحوث وتوجيهها لصالح البشرية لأنها تكشف عن الموضوعات التي ما زالت بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة. وهذه الفئة هي أكثر أنواع الببليوجرافيات عدداً إذ لا يخلو منها فرع من فروع المعرفة.

ومن هذه الببليوجرافيات ما هو عالمي وما هو قومي، ومنها ما هو متكامل في حد ذاته، وما يصدر بصفة دورية منتظمة. ولهذا النوع الأخير

اهمية خاصة بالنسبة للباحثين في العلوم سريعة التطور لأنه يصلهم بكل جديد في مجال بحوثهم.

فمن البيليوجرافيات التي تتقيد بموضوع ولا تتقيد بوطن أو لغة سلسلة:

International Bibliography of the Social Sciences

التي بدأت تصدرها اليونسكو في باريس منذ عام ١٩٥١ ثم انتقلت إلى (Stevens) في لندن منذ سنة ١٩٦٢ وهي:

1. International Bibliography of Social & Cultural Anthropology, 1955 —
1. International Bibliography of Political Science, 1953 —
3. International Bibliography of Economics, 1952 —
4. International Bibliography of Sociology, 1951 —

ومنها أيضاً:

5. International Bibliography of Historical Sciences, 1926 — Washington, 1930 —
6. The Zoological Record, 1864. London, 1865 —
7. Petroleum Sourcebook. Amarillo, Texas, 1958 —
8. International Guide to Educational Documentation, 1955-1960. Paris, Unesco, 1963 —
9. Educational Planning; a bibliography. Paris, Unesco, 1964 —
10. A Bibliography of the Architecture, Arts & Crafts of Islam, by K. Creswell. Cairo, 1961.

وهذه القوائم المختارة تمثل لنا طبيعة ذلك النوع من البيليوجرافيات، فبعضها يصدر بصفة دورية كالسبعة الأولى التي تصدر سنوياً، وبعضها الآخر أعمال مستقلة كالثلاثة الأخيرة. وبعضها يقتصر على الكتب بينما يضيف البعض الآخر مقالات الدوريات كما في القائمة الثالثة والخامسة والسادسة والتاسعة والعاشرة وبعضها يرتب مادته بالدول والمناطق الجغرافية

كما فعلت القائمتان السابعة والثامنة، والبعض الآخر ـ وهو الغالب ـ يرتب ترتيباً موضوعياً يتفاوت عدد رؤوس الموضوعات فيه من قائمة لأخرى كما هو الحال في بقية القوائم(١)، وبعضها يكتفي بالوصف البيليوجرافي للكتب، بينما يتجاوز البعض هذا الوصف إلى التعريف بتلك الكتب تعريفاً موجزاً كما في القوائم الثلاث الأخيرة.

ومن البيليوجرافيات الموضوعية على المستوى القومي نذكر على سبيل المثال أيضاً:

1. British Medical Booklist. London, 1950 —
2. American Scientific Books, 1960-62, 1962-63, 1963-64. ed. by P.B. Steckler. N.Y., 1962-64.
3. The French Bibliographical Digest. N.Y., 1951 —
4. Catalogue Collectif des livres Français de Sciences et Techniques, 1950-1960. Paris, 1961. Supplement, 1960-62. Published in 1963.
5. Indian Scientific & Technical publications. Calcutta, 1960.
6. Quarterly Review of Scientific Publications, by Polish Academy of Science, Documentation & Scientific Information Centre. Warsaw, 1964 —.

وهذه النماذج التي عرضناها تمثل لنا الفروق بين تلك البيليوجرافيات الموضوعية التي تغطي ما كتب في موضوعاتها على المستوى القومي، فبعضها يصدر بصفة دورية كما هو الحال بالنسبة للنموذج الأول الذي يصدر شهرياً والنموذج الأخير الذي يصدر أربع مرات في السنة. وبعضها يغطي كل ما نشر في بلده كما في القائمة البولندية، بينما ينوء البعض الآخر بهذا العبء ولا يدعى ذلك الشمول وإنما يكتفي بالاختيار مما

(١) فالقائمة الرابعة ـ مثلاً ـ تنقسم إلى ستة أقسام بينما تنقسم القائمة الخامسة إلى عشرين قسماً يمثل كل منها موضوعاً من الموضوعات وينشر مستقلاً ومرتباً هجائياً بالمؤلف، في حين جعل كريزول كتابه عن العمارة الإسلامية في قسمين أحدهما للعمارة والآخر للفنون الأخرى مرتبة هجائياً.

نشر كما تفعل قائمة الكتب العلمية الأميركية. ويعضها يكتفي بذكر البيانات الببليوجرافية العادية عن الكتاب: عنوانه ومؤلفه وطبعته ومكان نشره وناشره وتاريخ النشر، بينما يضيف البعض الآخر معلومات أخرى كأسعار الكتب التي تحرص القائمة الرابعة على ذكرها، ويذكر البعض تعليقات على الكتب التي يحصيها كما في الأمثلة ٢، ٣، ٥. وفي القائمة رقم (١) رُمز للفئات الخاصة من الكتب كالمراجع والكتب الدراسية والكتب العامة والطبعات الرخيصة (Paperback) من الكتب التي سبق نشرها بحروف مميزة.

أما طريقة الترتيب في تلك القوائم فتتفاوت من قائمة لأخرى وإن كنا نستطيع أن نتبين خطوطاً واضحة للترتيب. فبعضها يؤثر الترتيب الهجائي بالمؤلفين كما تفعل أولى القوائم التي ذكرناها، وبعضها الآخر يسير على نظام التصنيف العشري كالقائمتين الثانية والخامسة وإن كانت القائمة الثانية تستخدم رؤوس الموضوعات المستعملة في مكتبة الكونجرس. أما القائمتان الرابعة والسادسة فقد اتبعت كل منهما تقسيمًا موضوعياً خاصاً بها، ففي أولاهما وزعت الكتب على ستة عشر موضوعاً يتفرع كل منها إلى ما هو أصغر منه، وفي الثانية وزعت الكتب على أربعة أقسام رئيسية أولها للكتب العامة وثانيها للعلوم الاجتماعية وثالثها لعلوم الحياة ورابعها للعلوم البحتة والتطبيقية.

وقد يكون موضوع القائمة الببليوجرافية بلداً من البلاد أو فترة من فترات التاريخ أو شخصية من الشخصيات التي امتازت بالخصوبة والثراء في كتاباتها وشغلت الناس في حياتها وبعد مماتها. ولعل من أهم الشخصيات الغربية التي يصدق عليها هذا القول شخصية الكاتب المسرحي البريطاني وليم شكسبير الذي كثرت الكتابة عنه، وتعددت الأعمال الببليوجرافية التي تحصي كتاباته أو ما كتبه عنه الآخرون، ومن أهم هذه الأعمال:

1. Jaggard, W.: Shakespeare Bibliography: a dictionary of every known issu of the writings of our national poet and of recorded opinion thereon in the English language. Stratford-on-Avon, 1911.

2. Ebisch, W. and Schücking, L.L. A Shakespeare Bibliography. Oxford, 1931.
—— : Supplement for the Years 1930-35. Oxford, 1937.

3. Smith, G.R.: A Classified Shakespeare Bibliography, 1936-1953. University Park, Pennsylvania, 1963.

4. Shattuck, C.H.: The Shakespeare Promptbooks: a descriptive Catalogue. Urbana & London, 1965.

5. Guttman, S.: The Foreign Sources of Shakespeare's Works: an annotated bibliography of the commentary written on this Subject between 1904 and 1940 together with lists of certain translations available to Shakespeare. N.Y., 1947.

وتتفق هذه القوائم في أنها تعرِّف بالأعمال التي تذكرها تعريفات مختصرة وقد تضيف أماكن وجود بعضها في المكتبات كما تفعل القائمتان الأولى والرابعة، ولكنها تتفاوت في سعتها وشمولها، فكثير منها عام ولكن منها ما هو مقصور على لغة واحدة كالقائمة الأولى، وما هو مقصور على جانب واحد من جوانب شكسبير كالقائمة الأخيرة التي تتناول تأثير الآداب العالمية عليه.

وكذلك يعظم التفاوت بين تلك القوائم في عدد ما تحصيه من أعمال، فبينما تحصى القائمة الأولى ستة وثلاثين ألفاً، يتوقف العدد في القائمة الأخيرة دون الستمائة.

أما الترتيب فقد يكون موضوعياً كما في القائمة الثالثة، وقد يكون هجائياً بأسماء المسرحيات كما في القائمة الرابعة.

وأما الكشافات فقد توجد كما في القائمة الثانية[1] وقد لا توجد كما في القائمة الثالثة التي تعتبر تتمة لسابقتها.

* * *

ولقد شهدت اللغة العربية في العقدين الأخيرين من هذا القرن، وفي السبعينات بصفة خاصة فيضاً متدفقاً من الأعمال البيليوجرافية التي تتناول ألواناً مختلفة من المعارف والتي تحتاج إلى من يتصدى لاستقصائها في عمل ببليوجرافي يعرّف الباحثين بها. وأمام هذا السيل الببليوجرافي الجارف الذي تتدافع أمواجه على كل شبر من الأرض العربية، لا يسعنا إلاّ أن نشير إلى قليل من كثير، وأن نكتفي بذكر نماذج معدودة نتبين من خلالها الملامح الرئيسية لهذه الأعمال. وهذه النماذج هي:

- الدليل الببليوجرافي للرسائل الجامعية في مصر ١٩٢٢ ـ ١٩٧٤. إعداد مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم. القاهرة، ١٩٧٦.

- الثبت الببليوجرافي للأعمال المترجمة ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧. إعداد حسين بدران وآخرين. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.

- معجم المسرحيات العربية والمعربة ١٩٤٨ ـ ١٩٧٥. إعداد يوسف أسعد داغر. بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨.

- ببليوجرافيا القانون والعلوم السياسية من سنة ١٨٧٥ إلى سنة ١٩٨٠. إعداد لجنة القانون بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر. القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥/١٩٧٧.

---

(١) يوجد بها كشاف للمؤلفين.

ـ الدليل البيليوجرافي للإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات. إعداد محمد فتحي عبد الهادي. القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦[١].

ـ مصادر دراسة الفولكلور العربي، قائمة ببليوجرافية مشروحة. إعداد المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بإشراف محمد الجوهري. القاهرة، ١٩٧٨.

ـ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. إعداد عبد الله محمد الحبشي[٢]. صنعاء، مركز الدراسات اليمنية، د. ت.

ـ الأدب العربي في المملكة العربية السعودية. إعداد يحي محمود ساعاتي. الرياض، دار العلوم، ١٩٧٩.

ـ دليل القصة المصرية القصيرة، صحف ومجموعات ١٩١٠ ـ ١٩٦١. لسيد حامد النساج. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.

ـ فهرست القصة العراقية. لعبد الإله أحمد. بغداد، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، ١٩٧٣.

ولعل أهم ما يميز تلك الأعمال التي ذكرناها أنها أعمال ضخمة تتسم بالاستقصاء والشمول إلى أقصى درجة ممكنة، فدليل الرسائل الجامعية في مصر ـ مثلاً ـ يضم ٥٢٨٤ رسالة ماجستير ودكتوراه أجيزت في الجامعات والمعاهد العليا في مصر على مدى خمسين عاماً أو يزيد،

---

(١) نشر له ملحق يغطي ما نشر في سنة ١٩٧٩ وذلك في مجلة «عالم الكتب»، مجلد ٢، عدد ٢، (شوال ١٤٠١ هـ/ أغسطس ١٩٨١م) ص ٣٧٠ ـ ٣٩٧.

(٢) له كتاب آخر اسمه: مراجع تاريخ اليمن، نشر في دمشق سنة ١٩٧٢، ولأيمن فؤاد سيد حصر ببليوجرافي في نفس الموضوع بعنوان: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، نشر في القاهرة سنة ١٩٧٤.

و «الثبت البيليوجرافي للأعمال المترجمة يغطي أكثر من ٤٣٠٠ كتاب ترجمت في مصر منذ بداية حركة الترجمة في القرن الماضي ونشرت خلال الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧»، و «ببليوجرافيا القانون والعلوم السياسية» تحصي المؤلفات العامة والخاصة بما فيها رسائل الدكتوراه، كما تحصي البحوث المنشورة في الدوريات المتخصصة «منذ بدأت حياة القانون الوضعي المصري في صورة عامة متكاملة» وعلى مدى قرن من الزمان «أياً كان المؤلف مصرياً أو أجنبياً، وأياً كانت اللغة المكتوب بها العربية أو الأجنبية، وأياً كان مكان النشر في مصر أو خارجها»[1]. و «مصادر دراسة الفولكلور العربي» يحصي ٤١٧٥ عملاً عربياً في مجالة ما بين مخطوط ومطبوع، وما بين مؤلَّف ومترجَم سواء تم النشر داخل الوطن العربي أو خارجه، ولا يقتصر على الكتب وإنما يضم أيضاً أجزاء الكتب والرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات والتقارير والنشرات ومقالات الدوريات المتخصصة. و «الدليل البيليوجرافي للإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات» «يضم بين دفتيه أربعة آلاف وحدة ما بين كتاب أو مقالة في دورية أو بحث قدم في مؤتمر أو رسالة أجازتها جامعة مما صدر في داخل الوطن العربي أو خارجه لمؤلفين وباحثين عرب» باللغة العربية أو بغيرها من اللغات الأجنبية من بداية هذا القرن حتى منتصف سنة ١٩٧٦ بالإضافة إلى الدراسات القليلة التي ظهرت في أواخر القرن الماضي. ويحصي يوسف أسعد داغر في «معجم المسرحيات العربية والمعربة» ٣٦١١ مسرحية ظهرت في أنحاء الوطن العربي على مدى أكثر من قرن وربع قرن، كما يحصي عبد الإله أحمد في «فهرست القصة العراقية» ما نشر في العراق من قصص وروايات منذ سنة ١٩١٩ تاريخ صدور أول أثر قصصي عراقي حتى سنة ١٩٧٠. أما «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» فيجمع «كل الحصيلة الفكرية للتراث اليمني» منذ بداية التأليف في العصر

---

(١) ببليوجرافيا القانون والعلوم السياسية، ج ١، ص ٧.

الإسلامي حتى مطلع هذا القرن، و«يرسم لوحة ضافية للمخطوطات اليمنية يحدد في هذه الخارطة (البيبليوغرافية) أماكنها داخل اليمن وخارجه»(١).

وطبيعي أن يصطنع كل عمل من هذه الأعمال البيبليوجرافية طريقة له في الترتيب، فبعضها رتب مواده بالمؤلفين تحت رؤوس موضوعات هجائية كدليل الرسائل الجامعية في مصر ودليل الإنتاج الفكري في مجال المكتبات وببليوجرافيا القانون والعلوم السياسية، وبعضها رتب موضوعياً ولكن رؤوس الموضوعات لم ترتب فيما بينها هجائياً كما في ببليوجرافية الفولكلور العربي ومصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن.

كذلك رتبت بعض هذه البيبليوجرافيات هجائياً بالمؤلفين كما في ببليوجرافية الأعمال المترجمة ودليل القصة المصرية القصيرة وفهرست القصة العراقية، وإن كانت الترجمات في البيبليوجرافية الأولى قد رتبت هجائياً بالعنوان تحت المترجم، بينما رتبت القصص في البيبليوجرافيتين الأخريين تحت أسماء مؤلفيها ترتيباً زمنياً بحسب تواريخ النشر.

وبينما ترتب المسرحيات في معجم المسرحيات العربية والمعربة ترتيباً هجائياً بالعنوان، نجد يحيي ساعاتي يرتب الأعمال الأدبية والدراسات التي كتبت عنها في المملكة العربية السعودية بحسب الشكل الأدبي (أحاجي وألغاز ـ أمثال ـ ببليوجرافيا ـ تراجم ـ دراسات ـ سيرة ذاتية ـ شعر... الخ)، وتحت كل شكل من هذه الأشكال ترتب المداخل بأسماء المؤلفين.

ومعلوم أن طريقة ترتيب العمل هي التي تحدد نوع الكشافات التي يحتاجها، ولهذا نجد كشافاً للمؤلفين فقط في ببليوجرافية الأدب العربي في السعودية وفي دليل القصة المصرية القصيرة، وكشافين أحدهما للمؤلفين والآخر للعناوين في ببليوجرافيتي الفولكلور والمكتبات، وثلاثة أنواع من الكشافات في ببليوجرافية الأعمال المترجمة أحدها للموضوعات والآخر

---

(١) مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، المقدمة ص٦، ٧.

للعناوين والثالث للمؤلفين والمترجمين والمراجعين، بينما يختم «معجم المسرحيات العربية والمعربة» بمجموعة طريفة من الكشافات أحدها للأعلام من مؤلفين ومترجمين، والآخر للمسرحيات الشعرية والشعرية النثرية، والثالث للفرق والأجواق التمثيلية والمسارح التي قامت في أنحاء الوطن العربي، والرابع للممثلين والممثلات، والخامس بأسماء المجلات العربية التي أشير إليها في تضاعيف الكتاب.

وكما وجدت في اللغات الأوروبية أعمال بيليوجرافية تتناول كبار الشخصيات التي تميزت بغزارة إنتاجها أو بغزارة الإنتاج عنها، فكذلك كانت الشخصيات الفذة على مدى تاريخنا العربي كله منطقة جذب لكثير من الأعمال البيليوجرافية التي ظهرت في العصر الحديث نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مؤلفات الغزالي، لعبد الرحمن بدوي. القاهرة، دار القلم، ١٩٦١.
- مؤلفات ابن سينا، لجورج قنواتي. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٠.
- مؤلفات الفارابي، لحسين علي محفوظ وجعفر آل ياسين. بغداد، مديرية الثقافة العامة، ١٩٧٥.
- مؤلفات ابن الجوزي، لعبد الحميد العلوجي. بغداد، مديرية الثقافة العامة، ١٩٦٥.
- أسماء مؤلفات ابن تيمية، لابن قيم الجوزية، تحقيق صلاح الدين المنجد. الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٥٣.
- آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأحمد محمد الضبيب. الرياض، ١٩٧٧.

ــ عباس محمود العقاد؛ نشرة ببليوجرافية بآثاره الفكرية لعبد الستار عبد الحق الحلوجي. القاهرة، دار الكتب، ١٩٦٤.

وإلى جانب هذه البيليوجرافيات التي تحصي ما كتبه المؤلف موضوع القائمة، ظهرت أعمال أخرى تتجاوز دائرة مؤلفات الشخص إلى ما أُلّف حوله من كتب ومقالات. ومن هذه الفئة:

ــ أعلام الأدب المعاصر في مصر/١ ــ طه حسين، لحمدي السكوت ومارسدن جونز. القاهرة، الجامعة الأميركية، ١٩٧٥.

ــ رائد الدراسة عن المتنبي، لكوركيس عواد وميخائيل عواد. بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩.

ــ كشاف مصادر دراسة أبي العلاء المعري. دمشق، مطبعة العلم، ١٩٧٨.

ــ أين تجد أمين الريحاني؛ ببليوجرافية، لألبرت الريحاني. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩.

ولا يكتفي العمل الأخير بذكر مؤلفات الريحاني وكتابات غيره عنه باللغة العربية واللغات الأجنبية، وإنما يتجاوز ذلك إلى ما أُسبغ عليه من مظاهر التكريم في حياته وبعد مماته كمنح الجوائز وإقامة المتاحف وعمل التماثيل.

وطبيعي أن تتفاوت البيليوجرافيات التي تتناول الأشخاص في سعتها وشمولها واكتمال بياناتها. فبعضها يقتصر على ذكر الكتب كقائمة مؤلفات ابن سينا، وبعضها يذكر الكتب والرسائل ومقالات الدوريات أيضاً كما هو الحال في القوائم الخاصة بطه حسين وعباس العقاد ومحمد بن عبد الوهاب[١]. وبعضها يذكر بيانات الوصف البيليوجرافي كاملة حيناً

---

(١) وتضيف قائمة مؤلفات الشيخ فصلاً لما كُتب من شروح على بعض مؤلفاته.

وناقصة حيناً آخر كقائمة مؤلفات ابن تيمية التي تكتفي بذكر العناوين أحياناً ولكنها في أحيان أخرى تذكر عدد أوراق الكتب بالدقة أو على وجه التقريب. بل إن بعض هذه القوائم لا تكتفي بذكر المؤلفات وأوصافها، وإنما تنص على المصادر التي ذكرت كل واحد من تلك المؤلفات كما هو الحال في قائمتي مؤلفات ابن الجوزي والفارابي. وتمضي القائمة الأخيرة إلى ما هو أبعد من ذلك فتنص على بدايات الكتب المخطوطة وخواتيمها وتذكر المكتبات التي يوجد بها كل كتاب من الكتب المنسوبة للفارابي.

وبعض هذه البيليوجرافيات لا يقف عند الوصف والتعريف وإنما يتجاوزه إلى التعليق والتقويم كالذي نجده في «كشاف مصادر دراسة أبي العلاء» حيث تطالعنا عبارات من مثل: مقال جدير بالقراءة، أو: كتاب للطلبة.

وليس التفاوت في طريقة تقديم مشتملات هذه الأعمال البيليوجرافية بأقل من التفاوت في مدى السعة والشمول. فبعضها لا يلتزم بأي نوع من الترتيب كما في قائمتي مؤلفات الفارابي وابن تيمية، ولكن أغلبها يلتزم إحدى طرق الترتيب المعروفة التي تيسر استخدام الباحث للقائمة واستفادته منها. فمؤلفات ابن الجوزي ــ مثلاً ــ رتبت هجائياً بعناوينها، و«كشاف مصادر دراسة أبي العلاء» رتب زمنياً بالسنين(١)، وكتابات العقاد رتبت بالسنين في الأصل الانجليزي(٢) ثم رتبت بالموضوعات في النص العربي، ولم ترتب تلك الموضوعات هجائياً ولم تخضع لنظام أي من خطط التصنيف المعروفة وإنما رتبت على أساس منطقي تمليه طبيعة كتابات العقاد نفسها ويخدم من يتصدى لدراسته. وبيليوجرافية طه حسين قسمت إلى قسمين رئيسيين أولهما لأعماله والآخر للأعمال التي

(١) اعتمد في ذلك على التاريخ الذي يذكره المؤلف، فإن لم يفعل أخذ بتاريخ وفاته بالنسبة للمؤلفين القدماء وتاريخ النشر فيما عدا ذلك.

(٢) Abbas Mahmud al-Aqqad; an annotated bibliography. London, University College, 1963.

كتبت عنه، وكل منها مقسم إلى أقسام فرعية[1] رتبت المؤلفات في كل منها زمنياً حسب تواريخ نشرها[2]. أما مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد رتبت تحت ثلاثة رؤوس موضوعات رئيسية هي العقيدة ثم الفقه ثم التفسير والحديث، وتحت الموضوعين الأولين وزعت المؤلفات إلى: كتب ورسائل ونبذ ـ مسائل وأجوبة ـ مكاتبات، وتحت كل فرع من تلك الفروع رتبت المؤلفات هجائياً بعناوينها. وفي «أين تجد أمين الريحاني» رتبت مؤلفات الريحاني تحت رؤوس موضوعات هجائية، أما ما كُتب عنه فقد رتب بتواريخ النشر.

وأمامَ تلك الأعداد الهائلة من البيليوجرافيات التي صدرت وتصدر في مختلف الموضوعات وبمختلف لغات البشر يبرز سؤال هو: كيف يتعرف الباحث على ما صدر من أدوات ببليوجرافية في موضوع معين؟ وهذا السؤال تجيب عنه قوائم القوائم أو ببليوجرافيات الببليوجرافيات Bibliographies of bibliographies وهي فئتان: فئة مستقلة متكاملة وأخرى جارية متتابعة.

فمن النوع الأول:

— Index Bibliographicus.

— A World Bibliography of Bibliographies and of Bibliographical Catalogues, Calendars, Abstracts, Digests, Indexes, and the Like.

---

(١) فالقسم الأول يشتمل على: كتب في الأدب والنقد والتاريخ والتربية ـ أدب قصصي ـ أعمال بالاشتراك ـ تحقيق ومراجعة واشراف ـ أعمال مترجمة ـ مقدمات كتب ـ دراسات ومقالات وخواطر ـ أحاديث صحفية وندوات. والقسم الثاني: كتب كاملة عنه ـ كتب تناولته في فصول ـ أعداد خاصة من دوريات ـ مقالات ودراسات ـ أعمال عنه بلغات أخرى.

(٢) فيما عدا الأحاديث الصحفية والندوات فقد رتبت باسم من أجرى الحديث.

وقد صدرت القائمة الأولى في باريس عن الاتحاد الدولي للتوثيق (FID) التابع لليونسكو سنة ١٩٢٥ وكانت آخر طبعاتها هي الطبعة الرابعة التي صدرت منها ثلاثة مجلدات ابتداء من ١٩٥٩ أولها للعلوم والتكنولوجيا والثاني للعلوم الاجتماعية والثالث للإنسانيات، ولم يصدر بعد المجلد الرابع الخاص بالببليوجرافيات العامة والكشافات.

أما القائمة الثانية فقد جمعها (Theodore Besterman) وأصدرها سنة ١٩٣٩/١٩٤٠ في مجلدين وبلغت أربعة مجلدات في طبعتها الرابعة التي صدرت في لوزان بسويسرا سنة ١٩٦٥/١٩٦٦ متضمنة ما يقرب من ١١٧٠٠٠ ببليوجرافية نشرت حتى أوائل سنة ١٩٦٤ في أكثر من أربعين لغة. ثم أصدرت لها (Alice F. Toomey) في سنة ١٩٧٧ ملحقاً بنفس العنوان وبنفس طريقة الترتيب يغطي السنوات العشر التالية ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤.

والترتيب في القائمتين ترتيب موضوعي ولكنه مصنف في القائمة الأولى على أساس التصنيف العشري العالمي وهجائي في القائمة الثانية التي يتجاوز عدد رؤوس الموضوعات المستعملة فيها أكثر من ستة آلاف، وقد رتبت المداخل تحت كل موضوع منها بأسماء القائمين بالعمل دون تقديم اللقب على الاسم الشخصي، وذلك عيب جوهري من عيوب تلك القائمة، يضاف إليه عيب آخر هو أنها لا تهتم بذكر أسماء الناشرين في كثير من الحالات.

ومع أن هاتين القائمتين دوليتان في مجالها حيث نجد فيهما عدداً لا بأس به من الببليوجرافيات التي نشرت بغير اللغة الانجليزية، إلاّ أن التغطية بالنسبة للغات الشرقية ما زال ينقصها الكثير.

فإذا انتقلنا إلى النوع الجاري من ببليوجرافيات الببليوجرافيات وجدنا منها عدداً لا بأس به نذكر منه على سبيل المثال أيضاً:

— Bibliographic Index: a cumulative bibliography of bibliographies, 1937— N.Y., Wilson, 1938—.

— Bibliographie der Deutschen Bibliographien, 1954 Leipzig, 1954—

وقد بدأت النشرة الأولى ربع سنوية ثم أصبحت الآن نصف سنوية مع تجميعين أحدهما سنوي والآخر كل ثلاث سنوات، في حين لا تصدر النشرة الثانية إلاّ مرة واحدة في السنة.

وكلتا البيليوجرافيتين لا تقتصر على البيليوجرافيات التي نشرت مستقلة فقط وإنما تحصى أيضاً ما نشر من قوائم بيليوجرافية في الكتب والكتيبات والدوريات[1] في ترتيب هجائي بالموضوعات في النشرة الأميركية وبالموضوعات والأشخاص معاً في النشرة الألمانية.

وتحاول النشرة الأميركية خاصة أن تتجه اتجاهاً عالمياً وذلك بذكر كثير من المواد الأجنبية بالإضافة إلى ما نشر باللغة الانجليزية، وهو اتجاه يزداد وضوحاً وتأصلاً مع مرور الأيام.

وطبيعي أن تكون البيليوجرافيات الجارية من هذا النوع أكثر نفعاً للباحثين لأنها تصلهم بكل جديد في ميدان التجميع البيليوجرافي أولاً بأول، وهو من الميادين الدائبة الحركة والنمو. وإذا كان قد استقر في الأذهان حيناً من الدهر أن العرب في العصر الحديث يعانون من فقر دم بيليوجرافي، فإن السنوات الأخيرة قد اقتلعت هذه الفكرة من جذورها لأنها ــ كما سبق أن أوضحنا ــ شهدت صحوة بيليوجرافية رائعة تحتاج إلى من يرصدها ويتابع حركتها إنصافاً للحق وخدمة للبحث والباحثين.

---

(١) فالقائمة الأميركية تحصى البيليوجرافيات المنشورة في حوالي ١٥٠٠ دورية بينما تقصر القائمة الألمانية نفسها على ما نشر في الدوريات الألمانية.

الدوريات

ولفظ الدوريات قد يتسع مدلوله بحيث يدخل تحته كل ما يصدر بصفة دورية منتظمة كالصحف والمجلات وكالحوليات والملاحق السنوية التي تصدرها الموسوعات الكبرى مثل Americana Annual و Britannica Book of the Year وقد يضيق معناه حتى يقتصر على المجلات المتخصصة التي تصدر في مختلف فروع المعرفة، وقد يتوسط فيشمل المجلات والصحف على إطلاقها. وهذا المفهوم الأخير هو الشائع والغالب في استعمال اللفظ عند المكتبيين.

وتمثل الدوريات بالنسبة للمكتبيين قطاعاً ضخماً من قطاعات عملهم، وتسبب لهم مشكلات أضخم سواء من حيث الحجم والمكان أو من حيث تكاليف الشراء والصيانة. ومع ذلك فلا مفر أمام أي مكتبة تحترم نفسها من اقتناء قدر معقول من الدوريات. وهو قدر يحكمه حجم المكتبة ونوعها ونوع جمهورها وإمكانياتها المادية والبشرية. فما تحتاجه المكتبة العامة من الدوريات غير ما تحتاجه مكتبة متخصصة في الهندسة أو الطب أو الزراعة أو الأدب، وعدد الدوريات ونوعها في مكتبة مدرسية يختلف بالضرورة عن عددها ونوعها في مكتبة جامعية أو مكتبة مركز من مراكز البحث التخصصي. وكلما مالت المكتبة إلى التخصص ازدادت حاجتها إلى الدوريات التي تعالج هذا التخصص، وكلما ارتفع المستوى العلمي لجمهورها أو كلما كان جمهورها من الباحثين اكتسبت الدوريات أهمية بالغة

وأصبحت جزءاً أساسياً من مقتنيات المكتبة. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الدوريات تشكل المنطلق الأساسي للباحثين في مختلف مجالات البحث العلمي بحكم أنها تحمل إليهم آخر ما توصل إليه العلم من كشوف ومخترعات، وتصلهم بأحدث ما كتب في موضوعات تخصصهم.

وإذا كانت أهمية الدوريات في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية لا تحتاج إلى برهان أو دليل، فإن أهميتها في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية لا ينبغي أن تُغفل أو أن ينتقص من قدرها. فهناك موضوعات طارئة أو وقتية لا تجد لها مكاناً في الكتب لأن مرور الزمن يفقدها قيمتها، ومن ثم تصبح الدوريات هي المكان الأنسب والأفضل لمعالجتها. والذين يدرسون فترة من فترات التاريخ الحديث في دولة من الدول لا غنى لهم عن الرجوع إلى الصحف اليومية والمجلات التي صدرت خلال الفترة موضوع الدراسة لأنهم سيجدون فيها معلومات وحقائق عن العصر وتياراته لا تتوافر في الكتب الضخام.

وحتى في مجال الدراسات الأدبية وخاصة تلك التي تتصل بالأدب الحديث تبرز أهمية الدوريات المتخصصة. ففيها تنشر النصوص والدراسات التي قد تجمع في كتب فيما بعد وقد لا تجمع، وعلى صفحاتها تتدافع مختلف التيارات والاتجاهات الأدبية، ومن خلالها تظهر المدارس الأدبية الجديدة وتتبلور.

والدورية بطبيعتها لا يحررها فرد واحد وإنما يشترك فيها مئات وربما ألوف من الكتاب الذين تتغير أسماؤهم من عدد إلى عدد. وهذا يتيح لها ثراء عظيمًا في الأفكار لا يتحقق في الكتاب المطبوع الذي يؤلفه فرد واحد أو عدد محدود من الأفراد. وهي بحكم تتابع صدورها لا بد أن تحمل إلى قارئها أحدث الآراء والأفكار باستمرار، وبحكم طبيعة حجمها وتعدد أبحاث كل عدد من أعدادها لا بد أن تعطي الباحث أفكاراً مركزة لا استطراد فيها ولا إسهاب. وهاتان ميزتان أخريان يفتقر إليهما الكتاب المطبوع الذي يستغرق في تأليفه شهوراً أو سنين ثم يرقد في المطابع شهوراً

حرى وربما سنين طويلة قبل أن يرى النور. وفي تلك الفترة التي قد تطول – وكثيرا ما تطول – يكون ركب العلم قد مضى خطوات على طريق التطور دون توقف أو انقطاع، ويكون العقل الإنساني قد توصل إلى كثير من الأفكار الجديدة التي تعدل الآراء القديمة المودعة في بطون الكتب، وقد تهدمها أو تقلبها رأساً على عقب. وهل تستطيع الكتب في مجال الطب أو علوم الفضاء – مثلاً – أن تؤدي للباحثين في معاملهم والأطباء في مستشفياتهم ما تؤديه لهم الدوريات المتخصصة في هذين العلمين؟

وتتفاوت الدوريات فيما بينها في درجة العموم والخصوص. فمنها ما يغطي مختلف جوانب الفكر الإنساني، ومنها ما ينحصر في مجال محدد من مجالات المعرفة كالأدب أو التاريخ أو الفلسفة أو الدين أو الزراعة أو الصناعة. وكأنما أحست الدوريات المتخصصة أن تغطية مجال معين بجميع أبعاده وزواياه أمر فوق طاقة أي منها فبدأت تستجيب لروح العصر وتلجأ إلى التخصص الزائد. وكان من نتيجة ذلك ظهور دوريات تكتفي بجانب واحد من جوانب الموضوع على أساس أن هذا يتيح لها فرصة أكبر لتغطيته تغطية كاملة. وبعد أن كانت هناك مجلات للفنون على إطلاقها ظهرت مجلات للسينما وأخرى للمسرح وغيرها للإذاعة أو للفنون الشعبية، وبعد أن كانت هناك مجلات للأدب بجميع صوره وأشكاله ظهرت مجلات متخصصة في الشعر أو المسرح أو القصة.

كذلك تتفاوت الدوريات في طبيعة مادتها. فبعضها يضم مقالات وبحوثاً وهو ما يسمى Research Journals، وبعضها الآخر يقتصر على أخبار المهنة أو المجال الذي تخصصت فيه وهو ما يسمى News Letters. ويلتقي الخطان في كثير من الدوريات كما هو الحال في The Middle East Journal التي تخصص قسماً أساسياً منها للتعريف بالكتب الجديدة عن منطقة الشرق الأوسط.

* * *

ونظراً للكثرة المفرطة في عدد ما ينشر من الدوريات في العالم، فإن الباحث لا يستطيع أن يتلمس الطريق إلى ما نشر عن موضوعه في الدوريات إلاّ بأداتين لا سبيل له إلى الاستغناء عنهما وهما:

(أ) الأدلة التي تعرِّف بما يصدر من دوريات في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

(ب) الكشافات والمستخلصات التي تعرِّف بمحتويات هذه الدوريات.

وأدلة الدوريات أنواع:

أولها: الأدلة العالمية التي لا تتقيد بما نشر في دولة من الدول أو في موضوع من الموضوعات وإنّما هي تطمح إلى التغطية الشاملة على مستوى العالم كله وفي مختلف فروع المعرفة، ومن أمثلتها:

— Ulrich's International Periodicals Directory. N.Y., 1932 —

— Newspaper Press Directory (Benn's Guide to Newspapers and Periodicals of the World). London, 1846 (1) —

— Willing's Press Guide. London, 1874 —

وثانيها: أدلة تسعى إلى تغطية كل ما نشر في مجموعة من الدول تجمع بينها اللغة أو السياسة دون تقيد بموضوع معين مثل:

ـ دليل الدوريات العربية الجارية. القاهرة، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، ١٩٦٥.

ـ الدوريات العربية، دليل عام للصحف والمجلات العربية الجارية في الوطن العربي. القاهرة، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٧٣.

وثالثها: أدلة تعرِّف بما نشر من الدوريات في دولة من الدول وتوابعها. فبالنسبة للولايات المتحدة الأميركية ـ مثلاً ـ يوجد:

---

(١) هذا الدليل والذي يليه يركزان بصفة خاصة على ما يصدر من الدوريات في بريطانيا.

— Ayer's Directory of Newspapers & Periodicals Philadelphia, 1880. (annual).

— The Standard Periodical Directory. N.Y., 1964. (4th ed. 1972).

وهما يغطيان الولايات المتحدة وكندا، بالإضافة إلى بنيا والفلبين في الدليل الأول.

وبالنسبة للدوريات التي تصدر في انجلترا وشمال إيرلندا والمستعمرات البريطانية يوجد:

— Guide to Current British Periodicals, ed. by Mary Toase. London, 1962.

أما بالنسبة لفرنسا فهناك:

— Annuaire de la Presse et de la Publicité. Paris, 1879 —
— La Presse Française. Paris, 1965. (3rd ed., 1967).

وبالنسبة للهند يوجد:

— Sud, K.K.: Indian Periodicals Directory. Calcutta. 1964.
— Gidwani, N.N. and Navlani, K.(ed.): Indian Periodicals: an annotated guide. Jaipur, 1969.

وفي العراق صدر:

ـ كشاف الجرائد والمجلات العراقية[1]، لزاهدة ابراهيم.. بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٦.

وفي لبنان صدر:

ـ قاموس الصحافة اللبنانية؛ ١٨٥٨ ـ ١٩٧٤ ليوسف أسعد داغر. بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٨.

وأما فلسطين فصدر عنها:

ـ الصحافة العربية في فلسطين، ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨[2] ليوسف خوري. بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٦.

---

(١) يضم جميع الصحف والمجلات الصادرة عن أشخاص أو هيئات رسمية، والصادرة عن المدارس والكليات والجامعات والسفارات العراقية في الخارج من تاريخ أول صحيفة عراقية حتى عام ١٩٧٣، كما تقول المقدمة. ص ٦.

(٢) يشمل حتى الصحف الخطية.

وليست الدول التي ذكرناها هي الدول الوحيدة التي صدرت لها أدلة تعرِّف بالدوريات فيها، ولا هذه الأدلة التي ذكرناها هي كل ما يصدر في تلك الدول، وإنما هناك أدلة أخرى ودول أخرى كثيرة لها أدلة للدوريات التي تصدر فيها، وإنما ذكرنا تلك النماذج السابقة على سبيل المثال لا الحصر.

ورابعها: أدلة تحصي ما نشر من دوريات في موضوع من الموضوعات متجاوزة في ذلك الحدود الجغرافية واللغوية. وهذه أكثر من أن تحصى ونذكر من أمثلتها:

— World List of Social Sciences Periodicals. Paris, Unesco, 1952 (3rd. ed. 1966).
— World Medical Periodicals. Paris, W.H.O & Unesco, 1953 (3rd ed. 1961).
— Current Agricultural Serials, ed. by D.H. Boalch. Oxford, 1965.
— Historical Periodicals, ed. by E.H. Boehm and L.Adolphus-Santa Barbara, 1961.
— Educational Periodicals. 2nd ed. Paris, Unesco, 1963 .(1)

وخامسها: ادلة تلتزم بالحدود الموضوعية والإقليمية معاً. فهي تعرِّف بما نشر من الدوريات في موضوع ما وفي بلد ما أو عدة بلاد تجمعها روابط اللغة والدين والتاريخ مثل:

ـ دليل الدوريات العربية والأجنبية الصادرة في الدول العربية في مجالات التنمية الصناعية. القاهرة، مركز التنمية الصناعية للدول العربية، ١٩٧٤.

— Directory of Japanese Scientific Periodicals. Tokyo, National Diet Library, 1962. (3rd ed. 1967).
— Directory of Indian Scientific Periodicals. Delhi, Indian National Scientific Documantation Centre. 1964. (2nd ed. 1968).

---

(١) صدرت الطبعة الأولى منه في سنة ١٩٥٧ بعنوان: (International List of Educational Periodicals).

وطبيعي أن تكون الفئة الأولى هي أوسع الفئات شمولاً وأكثرها استعمالاً في المكتبات بحكم اتساع الرقعة الجغرافية وتعدد المجـالات الموضوعية التي تغطيها حتى لنرى الطبعة التاسعة عشرة التي صدرت من Ulrich's سنة ١٩٨٠ تضم اثنتين وستين ألف دورية تصدر في الولايات المتحدة وفي ١٢٠ دولة أخرى غيرها.

ونقطة القوة هذه هي نفسها نقطة الضعف في مثل هذا النوع من الأدلة. فهذا الاتساع سلاح ذو حدين، لأنه رغم فائدته القصوى إلا أنه باهظ التكاليف بلا شك. ومن هنا يوجه الاتهام إلى هذا الدليل بأنه بادعائه صفة العالمية (تلك التي حملها في عنوانه منذ الطبعة الحادية عشرة) قد ارتدى ثوباً فضفاضاً أكبر من حجمه. فهو دليل أميركي بالدرجة الأولى وإن كان يذكر الدوريات الرئيسية فيما سوى الولايات المتحدة من الدول. ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لنظيره Newspaper Press Directory فهو يركز على المطبوعات الدورية في بريطانيا ودول الكمنولث وإن كان يذكر المجلات والصحف الرئيسية التي تصدر في أوروبا وأميركا والشرق منذ سنة ١٨٧٧. وكلمة «الرئيسية» هنا يمكن أن تكون مثار خلاف وجدل لأن الأهمية نسبية وما يراه البعض مهمًا قد لا يراه البعض الآخر بنفس الدرجة من الأهمية. بل إن ما يكون مهمًا في وقت من الأوقات قد يفقد أهميته في وقت آخر. وتلك النقطة بالذات من المزالق الخطيرة التي يتعرض لها كل من يتصدى للاختيار. ولعل هذا هو ما دفع إلى تضييق المجال والاقتصار على ما نشر في مجموعة من الدول تجمعها وحدة سياسية أو لغوية. ومن ثم ظهر النوع الثاني من الأدلة الذي يغطي عدة دول تتكلم وتكتب بلغة واحدة أو تكوِّن معاً وحدة سياسية أو جغرافية متميزة.

ثم ظهر الاتجاه بعد ذلك إلى مزيد من التحديد والتخصيص، وإلى الاكتفاء بدولة من الدول وتوابعها، وكانت نتيجة هذا الاتجاه ظهور الأدلة الوطنية أو المحلية للدوريات إن صح هذا التعبير.

وامتداداً لهذا الخط الذي يجنح إلى التخصيص والتحديد كان النوع الرابع من أدلة الدوريات وهو أهمها جميعاً بالنسبة للباحثين لأنه يقوم على التخصص الموضوعي. وتضيق الدائرة أكثر وأكثر في أدلة الدوريات التي نشرت في موضوع معين وعلى مستوى دولة معينة.

وتتفاوت الأدلة في فترات صدورها وفي عدد الدوريات التي تحصيها وطريقة ترتيبها والبيانات التي تقدمها عن كل منها. فمن الأدلة ما يعتبر عملاً متكاملاً تصدر له طبعات جديدة كلما دعت الحاجة إلى ذلك كما هو الحال بالنسبة لجميع الأدلة العربية التي ذكرناها وبالنسبة لكثير من الأدلة الأجنبية مثل:

Ulrich, The Standard Periodical Directory, Guide to Current British Periodicals, World Medical Periodicals, World List of Social Sciences Periodicals.

ومنها ما يصدر بصفة دورية منتظمة مثل:

Ayer's, Willing's Newspaper Press Directory, Annuaire de la Presse Française.

التي تصدر على شكل حوليات.

وفي حين يبلغ عدد الدوريات في الطبعة الأخيرة من Ulrich و Standard Periodical Directory أكثر من ستين ألفاً، يهبط الرقم إلى أقل من خمسة عشر ألفاً في طبعة سنة ١٩٦٧ من La Presse Française وإلى أقل من أربعة آلاف في Guide to Current British Periodicals بينما لا يصل عدد ما يحصيه «قاموس الصحافة اللبنـ » إلى أكثر من ٢٥٠٠ دورية، ولا تتجاوز الدوريات المذكورة في دليل الدوريات العربية الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٣٠٠ دورية منها ٢٦٩ باللغة الإنجليزية والباقي دوريات عربية. وتتواضع الأرقام كثيراً في دليل الدوريات العربية الجارية ودليل الدوريات الصادرة في الدول العربية في مجال التنمية الصناعية فتقصر في الأول عن ستمائة وتقف في الثاني عند ٦٢٥ دورية عربية و ٦٥ دورية أجنبية.

وبعض الأدلة تستبعد فئات معينة من الدوريات كما يفعل The Standard Periodicals Directory الـذي يستبعد الصحف، وكـما يفعـل Ayer's الذي لا يستبعد الصحف وحدها وإنما يستبعد معها المنشورات الدورية التي تصدرها المدارس والكليات الصغيرة والكنائس وما شابهها. أما World List of Social Sciences Periodicals فلا يذكر الدوريات التي تقتصر على الجداول الإحصائيـة والقوائم البيليـوجرافيـة، وأما «دليـل الدوريات العربية الجارية» فلا مكان فيه للمجلات المدرسية «التي تصدرها المدارس الإعدادية والثانوية وبعض المعاهد العالية وذلك لطبيعتها المحلية وعدم وجود أية قيمة مرجعية لها وعدم انتظام صدورها»(١).

ومع أن هناك قاسمًا مشتركاً بين هذه الأدلة في نوع البيانات التي تقدمها عن كل دورية وحداً أدنى لا يجوز التنازل عنه، وهو ذكر عنوان الدورية وتاريخ تأسيسها وعدد مرات صدورها ومكان الصدور واسم رئيس التحرير والناشر وعنوانه والموضوع الذي تعالجه، إلاّ أن بعضها مثـل Ulrich's لا يكتفي بهذه البيانات وإنمّا يضيف إليها معلومات أخرى مثل: التغيرات التي طرأت على عنوانها، وثمن النسخة أو العدد منها، والصفات المميزة لها كنوع محتوياتها (مقالات، إعلانات، بيليوجرافيات، إحصاءات، تعريف بالكتب، خرائط، رسوم) ولغاتها (إن تعددت) والأعداد الخاصة التي تصدرها والكشافات العامة التي تكشّفها. ويضيف Ayer's كمية توزيع الدورية وحجم صفحاتها، كما يعطي وصفاً للدول والمقاطعات والمـدن التي نشرت فيهـا، بينما يـذكـر World List of Social Sciences Periodicals عدد صفحات الدورية وعدد مقالاتها ومتوسط طول كل منها وعدد الكتب التي يعرِّف بها في كل عدد. وفي World Medical Periodicals تميز الدوريات التي توقفت عن الصدور بالعلامة *. ولا يكتفي Annuaire de la Presse Française بجمع المعلومات عن المجلات والصحف الفرنسية

---

(١) دليل الدوريات العربية الجارية، ص٢.

وإنما يضيف إليها أسماء الصحفيين ووكالات الأنباء وما يمكن أن يفيد الصحفيين الفرنسيين من المعلومات المتعلقة بالسياسة والحكومات ونحوها. وفي كثير من الحالات يضيف قاموس الصحافة اللبنانية وكشاف الجرائد والمجلات العراقية أسماء المكتبات التي توجد فيها الدورية والأعداد الموجودة بكل مكتبة. بل إن أولها ليذهب إلى أبعد من ذلك فيشير إلى التنويه بالدورية عند صدورها في الصحافة والفهارس والببليوجرافيات، كما يذكر صدى صدور الدورية في المجلات العربية الكبرى ورقم قرار الترخيص لها بالصدور.

أما ترتيب الدوريات داخل الأدلة فتارة يكون هجائياً بالعنوان كما في دليل «الدوريات العربية» الذي أصدرته المنظمة العربية وفي كشاف الجرائد والمجلات العراقية وقاموس الصحافة اللبنانية[1] و Current Agricultural Serials، وتارة يكون بالموضوع كما في:

Ulrich's, Willing's European Press Guide, The Standard Periodical Directory, Indian Periodicals Directory.

وتحت كل موضوع ترتب الدوريات هجائياً بعناوينها، وتارة يكون هجائياً بالبلاد التي تصدر فيها تلك الدوريات كما هو الحال في:

Ayer's, Newspaper Press Directory, World List of Social Sciences Periodicals, The International Guide to Literary and Art Periodicals, Aeronautical and Space Serial Publications.

ودليل الدوريات العربية والأجنبية الصادرة في الدول العربية في مجالات التنمية الصناعية. وفي Willing's رتبت الدوريات هجائياً بالعنوان مرة وبالموضوع مرة أخرى وبالدول والمدن مرة ثالثة. بينما رتب يوسف خوري الدوريات الفلسطينية زمنياً[2] ورتبت (Mary Toase) دليلها Guide to Current British Periodicals على حسب خطة التصنيف العشري لديوي، واتبع التصنيف العشري العالمي في ترتيب دليل الدوريات العربية

---

(١) يبدأ بالدوريات الصادرة بالعربية ثم الصادرة بالفرنسية وأخيراً الصادرة بالإنجليزية.

(٢) وإذا اتفقت التواريخ رتبت بالعنوان.

الجارية، في حين رتبت الدوريات في بعض الأدلة الأخرى تحت رؤوس موضوعات لا تخضع للترتيب الهجائي ولا لأي خطة من خطط التصنيف المعروفة مثل Repertoire de la Presse et des Publications Françaises الذي وردت الدوريات فيه تحت عشرين رأس موضوع أولها الدوريات العامة وآخرها اللغة والأدب، ومثل La Presse Française الذي ذكرت الدوريات فيه تحت أربع مجموعات رئيسية أولاها دوريات الأحداث الجارية والثانية الدوريات العلمية والأدبية والثالثة الدوريات المهنية والفنية والرابعة دوريات الإدارة العامة، وكل منها يتفرع إلى موضوعات أصغر.

وحينما ترتب الدوريات بعناوينها أو بالبلاد التي تصدر فيها، أو تحت رؤوس موضوعات لا تخضع للترتيب الهجائي، يصبح وجود كشاف موضوعي ضرورة من ألزم الضرورات. وهذا ما نجده في «الدوريات العربية»؛ و Guide to Current British Periodicals, Newspaper Press Directory أما في الأدلة التي تتخذ الموضوع أساساً للترتيب، فإن كشافات العناوين أو الأقاليم الجغرافية هي التي تصبح لازمة. ومن الأمثلة على ذلك «دليل الدوريات العربية الجارية» الذي زوّد بكشافين أحدهما بالعناوين والآخر بأسماء الدول العربية وتحت كل منها أسماء الدوريات التي تصدر فيها. ومن أمثلة الأدلة المزودة بكشاف للعناوين دليل الدوريات العربية والأجنبية الصادرة في الدول العربية في مجالات التنمية الصناعية،

World List of Social Sciences, Indian Periodicals: an annotated guide

أما الكشافات الجغرافية فنجد نماذج لها في «الدوريات العربية» World Medical Periodicals, Current Agricultural Serials. ويتفق كل من «قاموس الصحافة اللبنانية» و «كشاف الجرائد والمجلات العراقية» و «الصحافة العربية في فلسطين» في عمل كشاف بالأعلام من مؤسسي الصحف والمجلات وأصحاب الامتياز ورؤساء التحرير، ثم يضيف كل منها إلى هذا الكشاف أنواعاً أخرى من الكشافات، ففي دليل «الصحافة العربية في فلسطين» كشاف هجائي بالعناوين، وفي «قاموس الصحافة

«اللبنانية» كشافان أحدهما زمني والآخر موضوعي[1]، وفي «كشاف الجرائد والمجلات العراقية» كشاف زمني وآخر بأسماء المدن العراقية وتحت كل منها أسماء ما صدر فيها من دوريات، وكشاف بعناوين صحف الأحزاب، وكشاف بأسماء الصحفيات العراقيات.

والحديث عن أدلة الدوريات يقودنا إلى الحديث عن الفهارس الموحدة باعتبارها نوعاً من الأدلة التي تساعد الباحث على التعرف على الدوريات التي تنشر في مجال تخصصه. ومع أن الأدلة أعم من الفهارس الموحدة لأنها تحرص على الاستيعاب الكامل قدر المستطاع بينما تقصر الفهارس الموحدة نفسها على الموجود فعلاً في مكتبات معينة، فإن هذه الفهارس الموحدة كثيراً ما تكون أنفع للباحث الذي يهمه بالدرجة الأولى أن يعرف الدوريات التي في متناول يده وفي أي المكتبات يمكن أن يحصّلها. فالأدلة تعطي حصراً بأسماء الدوريات في مجال أو أكثر من مجالات المعرفة، أما الفهارس الموحدة فإنها تقدم ثبتاً بالدوريات المقتناة في مجموعة معينة من المكتبات كثيراً ما تكون هي المكتبات الرئيسية المعنية بهذا التخصص.

ويمكن تقسيم الفهارس الموحدة للدوريات إلى فئتين رئيسيتين: فئة عامة وأخرى متخصصة وإن تفاوتت في درجات التخصص. ومن أبرز نماذج الفئة الأولى:

— British Union Catalogue of Periodicals (BUCOP). London, 1955-58. 4 Vols. Supplement, 1962.

وهو فهرس موحد للدوريات الإنجليزية والأجنبية التي ظهرت منذ القرن السابع عشر والتي توجد بالمكتبات البريطانية، مع تعيين المكتبات التي يوجد بها كل منها.

وهذا الفهرس البريطاني يقابله فهرسان أميركيان يكمل كل منهما صاحبه وهما:

— Union List of Serials in Libraries of the United States and Canada. N.Y., 1927. (3rd ed, edited by E.B. Titus. N.Y, Wilson 1965. 5 Vols).

---

(١) يصنف الدوريات تحت ٣٨ رأس موضوع.

— New Serial Titles, 1950-1960. Washington, Library of Congress, 1961.

—— 1961-1965. N.Y., Bowker, 1966.

فأما أولها فيغطي الدوريات والسلاسل الموجودة في مكتبات الولايات المتحدة الأميركية وكندا حتى نهاية عام ١٩٤٩. وأما الثاني فهو نشرة شهرية بدأت من حيث انتهى العمل السابق مع مطلع سنة ١٩٥٠.

وقد أصدرت المكتبة الوطنية في باريس سنة ١٩٦٩ فهرساً موحداً للدوريات العربية «وخاصة تلك التي صدرت في المغرب العربي وفي أوروبا وفي أميركا اللاتينية»[1] الموجودة في عشرين مكتبة كبرى من مكتبات الشرق والغرب أطلقت عليه «٣٢٠٠ مجلة وجريدة عربية، ١٨٠٠ ـ ١٩٦٥». وأصدر معهد الكويت للأبحاث العلمية بجامعة الكويت فهرسين موحدين بالحاسب الآلي أحدهما عربي والآخر أجنبي. أما الأجنبي فقد صدر سنة ١٩٧٧ بعنوان Regional union List of Scientific and Technical Periodicals in the Gulf Area Kuwait, Iraq and Saudi Arabia وأما العربي فصدر سنة ١٩٨٠ بعنوان «القائمة الموحدة للدوريات العلمية والتقنية العربية في الكويت» وصفة «العلمية» الواردة في عنوان هذين الفهرسين لا تعني العلوم البحتة وحدها وإنما تتسع لتشمل إلى جانبها علوم المكتبات والعلوم الاجتماعية من إحصاء وسياسة واقتصاد وتجارة وتشريع وإدارة وتربية، ولهذا ذكرناهما هنا مع الفهارس العامة.

كذلك أصدرت بعض الجامعات العربية فهارس موحدة للدوريات في مكتبات كلياتها المختلفة نذكر منها:

ـ الفهرس الموحد للدوريات بمكتبات جامعة القاهرة الذي صدر سنة ١٩٧٤.

ـ والفهرس الموحد للدوريات بمكتبات جامعة الرياض الذي

---

(١) ص ٢٥٢.

صدرت طبعته الأخيرة سنة ١٩٨٠ في مجلدين أحدهما للدوريات العربية والآخر للدوريات الأجنبية[١].

- ودليل الدوريات العربية، وهو فهرس موحد للدوريات في مكتبات جامعة الكويت صدر سنة ١٩٧٦.

وإلى جانب تلك الفئة العامة من الفهارس الموحدة، هناك فئة أخرى تجنح إلى التخصص ولها نماذج كثيرة في المجالات العلمية بصفة خاصة نذكر منها على سبيل المثال:

— Union List of Scientific Serials in Canadian Libraries, compited and edited in the library of the National Research Council (Canada). Ottawa, 1957.

— Union Catalogue of the Scientific and Technical Periodicals in the Libraries of Australia. 2nd ed. edited by E.R. Pitt. Melbourne, 1951[٢].

— Union List of Russian Scientific and Technical Periodicals available in European Libraries, ed. by L.J. Van der Wolk and S. Zandstra. Amsterdam, 1963 —

وفي العادة ترتب الدوريات في تلك الفهارس الموحدة بنوعيها ترتيباً هجائياً بعناوينها[٣] مع اختلاف بينها في حالة تغير عنوان الدورية. فبعضها كالـ(BUCOP) يستخدم العنوان القديم للدورية، وبعضها مثل الفهرس الموحد للدوريات بمكتبات جامعة القاهرة و Union Catalogue of Scientific and Technical Periodicals in the Libraries of Australia يستعمل العنوان الأحدث.

---

(١) صدرت من الفهرس العربي طبعتان سنة ١٩٧٧، ١٩٨٠ أما الفهرس الأجنبي فقد صدرت منه ثلاث طبعات سنة ٧٣، ٧٧، ١٩٨٠.

(٢) صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٣٠ بعنوان:
Catalogue of the Scientific and Technical Periodicals in Libraries of Australia.

(٣) وإذا لم يكن عنوان الدورية متميزاً تدخل باسم الهيئة التي تصدرها. وفي هذه الحالة تستخدم الإحالات لربط العناوين والأسماء القديمة والحديثة بعضها ببعض.

وقد قام الفهرس الموحد للدوريات العلمية الروسية الموجودة في المكتبات الأوروبية بفصل الدوريات الروسية التي تصدر بلغاتها الأصلية عن تلك التي تنشر بلغات أوروبية. وعن الدوريات الغربية التي بها ترجمات روسية، والدوريات الروسية التي تضم ملخصات أو مقالات بالإنجليزية. كذلك بدأت New Serial Titles تصدر منذ نوفمبر سنة ١٩٥٥ مصنفة بتصنيف ديوي العشري، وحملت في عنوانها ما يدل على ذلك[١].

وليست هذه هي كل الاستثناءات لقاعدة الترتيب الهجائي، فهناك فهارس موحدة تخرج على تلك القاعدة خروجاً صريحاً مثل «القائمة الموحدة للدوريات العلمية والتقنية العربية في الكويت» والفهرس الموحد للدوريات بمكتبات جامعة الرياض و Regional Union List of Scientific and Technical Periodicals in the Gulf Area, Union List of Geographical Serials by C.D. Harris & J.D. Fellman. 2nd ed. Chicago, 1950.

فالترتيب الهجائي بالعناوين يأتي في القائمة الأولى تحت رؤوس موضوعات هجائية، وفي القائمتين الثانية والثالثة تحت رؤوس موضوعات مصنفة، وفي الرابعة تحت أسماء الدول والأقاليم.

فإذا تركنا طرق الترتيب وانتقلنا إلى عدد المكتبات وما يتبعه من عدد الدوريات التي يغطيها كل فهرس من تلك الفهارس وجدنا التفاوت بينها شديداً. فبينما يغطي الفهرس الموحد للدوريات في المكتبات الأميركية والكندية أكثر من ٩٥٠ مكتبة، نجد New Serial Titles يغطي حوالي ٧٠٠ مكتبة، في حين يقتصر BUCOP على ما يقرب من ٤٥٠ مكتبة. أما فهرس الدوريات بجامعة القاهرة فيغطي ١٩ وحدة تتبع الجامعة، بينما لا تغطي «القائمة الموحدة للدوريات العلمية والتقنية العربية في الكويت» سوى عشر مكتبات ترتفع إلى ٢٧ مكتبة في المجلد الخاص بالدوريات الأجنبية.

---

(١) أصبح عنوانها: New Serial Titles: classed Subject arrangement

هذا بالنسبة للفهارس العامة. أما الفهارس الموحدة المتخصصة فطبيعي أن يكون عدد المكتبات التي تغطيها أقل. فالفهرس الموحد للدوريات العلمية في المكتبات الكندية يقتصر على ١٤٠ مكتبة فقط وطبيعي أن يهبط الرقم كلما اتجهنا إلى مزيد من التخصيص. وهذا ما نشاهده في Union List of Military Periodicals الذي يسجل مقتنيات ٣٩ مكتبة أميركية فقط.

وهذا التفاوت الكبير في عدد المكتبات التي تغطيها الفهارس الموحدة يقابله تفاوت أكبر في عدد الدوريات التي يحصيها كل منها. فبينما يرتفع عدد الدوريات في الفهرس الموحد للدوريات الموجودة بمكتبات الولايات المتحدة وكندا إلى أكثر من ١٥٦ ألفاً، ويقف عند حدود ١٥٠ ألفاً في BUCOP ويقصُر دون ذلك في New Serial Titles الذي يحصي حوالي مائة ألف في تجميع سنة ١٩٦١/١٩٦٥، نجد الأعداد في الفهارس الموحدة للمكتبات المتخصصة أقل من ذلك بكثير. ففي الفهرس الموحد للدوريات العلمية بالمكتبات الكندية ــ مثلاً ــ ما يقرب من ٢١ ألف دورية يقابلها أكثر من ٦٧ ألفا في الفهرس الموحد للمكتبات الاسترالية، بينما لا يكاد يبلغ ما يحصيه الفهرس الموحد للدوريات العسكرية ألف دورية. أما الفهارس الموحدة للدوريات بالمكتبات الجامعية العربية فإن أضخمها هو فهرس جامعة القاهرة الذي استخدم الحاسب الآلي في إعداده والذي يضم ٥٠٠٠ دورية أجنبية منها ٢٠٠٠ دورية جارية. وأوضح دليل على ضخامة هذا العدد بالقياس إلى الجامعات العربية الأخرى أن ندوة أمناء ومديري مكتبات الجامعات العربية في بغداد سنة ١٩٧٢ أوصت بأن تقوم جامعة القاهرة بإرسال نسخ منه إلى مكتبات الجامعات العربية لتضاف مجموعاتها إليه تمهيداً لإصدار الفهرس الموحد للدوريات بالجامعات العربية. ويأتي بعده في المرتبة الفهرس الموحد للدوريات بجامعة الرياض الذي يضم ٣٧٦٥ دورية منها ٨٥٧ عربية والباقي أجنبية. أما القائمة الموحدة

للدوريات العلمية والتقنية في الكويت فلا تـذكر سوى ٥٨٤ دورية عربية و ٧٠٠ دورية أجنبية.

ومع أن البيانات التي تذكرها تلك القوائم تكاد تكون متشابهة(١)، إلاّ أن بعضها ينفرد ببيانات خاصة. فالتغييرات التي طرأت على العناوين وعلى أرقام المجلدات وتواريخها تذكر في BUCOP ويضاف إليها ما إذا كانت الدورية مكشفة في الكشافات المجمعة. وفي Union List of Russian Scientific & Technical Periodicals available in European Libraries يُنَص على الدوريات التي توجد منها مصورات على الميكروفيلم.

وتمثل الكشافات نقطة من نقاط القوة والضعف في مثل تلك الأعمال الببليوجرافية. ولا يخفى أن طريقة ترتيب الدوريات في كل منها هي التي تحدد نوع الكشافات اللازمة، ففي الفهرس الموحد للدوريات بجامعة الرياض ــ مثلاً ــ ثلاثة كشافات أحدها للعناوين والآخر للموضوعات والثالث للدول التي نشرت فيها الدوريات. وفي القائمة الموحدة للدوريات العلمية والتقنية (العربية والأجنبية) في الكويت وفهرس الدوريات الجغرافية الذي أعده Harris & Fellman كشاف للعناوين، أما فهرس الدوريات العلمية الروسية بالمكتبات الأوروبية فكشافه موضوعي، وأما الفهرس الموحد للدوريات العسكرية فله كشاف جغرافي.

وبعض تلك الفهارس الموحدة التي ذكرناها تصـدر لها مـلاحق تكملهـا، فالـ New Serial Titles تعتبـر استمراراً للـ: Union list of Serials in libraries of the U.S. and Canada والـفـهـرس الموحد للدوريـات العلمية في المكتبـات الكنديـة أصدر لـه Marjorie Meleghy سنة ١٩٦٠ ملحقاً يغطي سنة ١٩٥٧ ــ ١٩٥٩، والفهرس الموحد للدوريات العلمية في المكتبات الاسترالية الذي توقف عند نهاية سنة

---

(١) اسم الدورية وعدد مرات صدورها ومكان الصدور ورئيس التحرير، وطبيعة الدورية كأن تكون سياسية أو ثقافية أو إخبارية.

١٩٤٥ أصدر له A.E.Kent ملحقاً يغطي ما أضيف من دوريات في الفترة من يناير ١٩٤٩ إلى ديسمبر ١٩٥٢. بينما اعتبرت الطبعة الرابعة من World List of Periodicals هي الطبعة الأخيرة ومن أراد استكمالها فليرجع إلى الملاحق السنوية للـBUCOP.

* * *

وليس التعرف على أسماء الدوريات التي تعالج تخصصاً من التخصصات ولا أماكن وجود هذه الدوريات غاية في ذاته، لأن الباحث في الحقيقة لا تعنيه أسماء الدوريات ولا أسماء المكتبات بقدر ما يعنيه محتويات تلك الدوريات وهل فيها بحوث أو مقالات تمس تخصصه ومجال بحثه أم لا. ولو أن معرفة الباحث اقتصرت على اسم المجلة ومكان وجودها لكان معنى ذلك أن يغوص في مجلدات كثيرة طويلة وعريضة يبحث فيها لعله يجد شيئاً ينفعه. ومن يدري؟ فقد ينفق وقته وجهده ويعود بخفيّ حنين. ذلك أن كثيراً من الدوريات لا تكلف نفسها مشقة إصدار كشاف سنوي لمحتوياتها. وهذا يفرض على كل من يتعامل معها أن يفحص مجلداتها التي قد تمتد على مدى عشرات من السنين بلا توقف أو انقطاع. وحتى إذا وجد للمجلة كشافات سنوية فإن عليه في هذه الحالة أن يبحث في عدد من المجلدات يساوي عدد السنين التي صدرت فيها تلك المجلة، وإنه لعبء ـ لو تعلمون ـ ثقيل.

ومن أجل هذا لم تقف الخدمات التي قدمها الكتبيون للباحثين عند الأدلة التي تعرفهم بأسماء الدوريات التي تنشر في مجالات تخصصاتهم، ولا هي توقفت عند الفهارس الموحدة التي تعرفهم بأسماء المكتبات التي توجد بها تلك الدوريات، وإنما تجاوزت ذلك إلى ما هو أهم وأخطر، إلى محاولة وضع محتويات تلك المجلات بين أيديهم حتى يوفروا وقتهم وجهدهم للبحث نفسه ولا ينفقوا منها إلا أقل القليل في التعرف على ما كتب في مجالات دراساتهم. ولقد تجسدت تلك المحاولات في مظهرين هما: كشافات الدوريات ومستخلصاتها.

فأما الكشافات فهي التي تحلل محتويات الدوريات وترتبها تحت تجميعات موضوعية، وداخل كل موضوع يكون الترتيب عادة هجائياً بأسماء الكتّاب.

وتعتبر تلك الكشافات دعامة أساسية من دعامات البحث العلمي لأنها مفتاح كنوز ضخمة من الأبحاث والمعارف. ومن ثم كان الشعور بالحاجة إليها لتعريف الباحثين بالأبحاث الجارية التي تنشر في مجالات تخصصاتهم هو الذي تمخض عن ظهور مراكز التوثيق منذ الحرب العالمية الثانية بمعاونة اليونسكو.

ويبدأ كل كشاف في العادة بحصر للدوريات المكشفة في ترتيب هجائي وأمام كل منها الاسم المختصر الذي يشار به إليها.

وهناك قدر معلوم من البيانات ينبغي أن يذكره أي كشاف عن كل مقال يورده، وهذه البيانات هي: اسم كاتبه وعنوان المقال واسم المجلة التي نشر بها (مختصراً) ورقم المجلد والعدد الذي نشر فيه وتاريخه وعدد الصفحات التي يشغلها المقال.

وبعض الكشافات لا تكتفي بهذه البيانات وإنما تضيف إليها معلومات أخرى عما إذا كان بالمقال ببليوجرافيات أو رسوم توضيحية أو شبه ذلك من السمات المميزة.

وتتفاوت كشافات الدوريات فيما بينها في درجة العموم والخصوص. فهناك كشافات عامة على المستوى الدولي لا تحصر نفسها في موضوع من الموضوعات أو بلد من البلاد وإنما هي تتجاوز الحدود الإقليمية والموضوعية مثل Internationale Bibliographie der Zeitschriften Literatur (IBZ). – Osnabruck. Dietrich.1897، وكشافات أخرى موضوعية تغطي ما كتب عن موضوع من الموضوعات في مختلف الدوريات بصرف النظر عن لغاتها وجنسياتها مع تركيز على الدوريات المتخصصة بطبيعة الحال مثل:

— Index Islamicus, 1906-1955. Compiled by J.D. Pearson. Cambridge, 1958. Reprinted for Mansell, 1972 & 1974.

— Supplements 1956-60, 1961-65 1966-70 1971-75

— Index Medicus. Washington, 1960 —

— Index to Religious Periodical Literature. Chicago, 1953 —

— Education Index, Jan. 1929— . N.Y., 1932 —

وهناك أيضاً كشافات إقليمية تحلل محتويات الدوريات التي تنشر في بلد من البلاد في مختلف فروع المعرفة مثل:

— The Reader's Guide to Periodical Literature. N.Y., 1905 —

— Guide to Indian Periodical Literature. Gurgon (Punjab), 1964 —

وقد تضيق دائرة الكشاف بحيث يقتصر على ما نشر في الدوريات المحلية عن موضوع معين أو عدة موضوعات متصلة ببعضها مثل:

— British Humanities Index, 1962— . London, 1963 —

— British Technology Index. London, 1962 —

— British Education Index, Aug 1954 to Nov. 1958. London, 1960 —

وطبيعي أن تتفاوت الكشافات فيما بينها في عدد الدوريات التي تكشفها وفي عدد مرات الصدور. فعلى مستوى الكشافات العامة نجد ـ مثلاً ـ أن عدد الدوريات المكشفة في الكشاف الهندي Guide to Indian Periodical Literature لا يكاد يتجاوز خمسين إلاّ قليلاً، بينما يبلغ ١٢٨ دورية في الكشاف الأميركي The Reader's Guide to Periodical Literature.

وعلى مستوى التخصص نجد Index Islamicus يكشف أكثر من خمسمائة دورية بينما يهبط عدد الدوريات المكشفة في British Technology Index إلى أربعمائة.

وهذه الأرقام لا ينبغي أن تلقى هكذا مجردة، لأن عدد الدوريات يختلف من دولة لأخرى ومن موضوع لآخر. فقد يكون كشاف الدوريات الهندية أوفى من الكشاف الأميركي وأشمل رغم أن هذا الأخير يكشف أكثر من ضعف عدد الدوريات التي يكشفها نظيره الهندي، والسبب في ذلك أن نسبة تغطية الدوريات المحلية في أولهما أعلى من نسبتها في الثاني. وغني عن القول انه كلما كان مجال الكشاف عاماً كان عدد الدوريات التي تدخل في نطاقه كبيراً، وكلما جنح الكشاف إلى التخصيص سواء كان هذا

التخصيص موضوعياً كما في Index Islamicus أو موضوعيا واقليميا في الـ واحد كما في British Technology Index. كلما قل عدد الدوريات التي تدخل في نطاقه. ومن ثم يكون أساس التفضيل بين كشاف وآخر هو درجة شموله واستيعابه للدوريات التي تصدر في مجاله، قلّ هذا العدد أو كثر، وليس عدد الدوريات المكشفة فيه.

ولا يقتصر الشمول في الحقيقة على عدد الدوريات المكشفة وإلى أي حد تمثل كل ما يصدر في المجال فحسب، وإنما للشمول مظهر آخر هو: هل يذكر الكشاف كل ما ينشر في الدوريات التي يكشفها أم أنه يقتصر على المقالات الأساسية والهامة كما تفعل British Technology Index؟ وهل هناك فئات معينة تستثنى؟ وما هي تلك الفئات؟ وعلى أي أساس يتم الاختيار والاستبعاد؟

وموقف الكشافات من محتويات المجلات التي تكشفها يختلف. ففي British Humanities Index تُستبعد القصص والأشعار، بينما ترد بعض القصص تحت أسماء مؤلفيها في Annual Magazine Subject Index. والتعريف بالكتب ونقدها Book Reviews يذكر تحت أسماء مؤلفيها في قسم مستقل من Index to Religious Periodical Literature ولكنه يستبعد تماماً من Index Islamicus.

ويتصل بعدد الدوريات المكشفة ومحتوياتها نوع تلك الدوريات ونوعية مقالاتها. فبعض الكشافات يحرص على تكشيف الدوريات العلمية المتخصصة ذات المستوى الأكاديمي الرفيع، وبعضها الآخر لا يهتم بذلك على الإطلاق. ويتمثل هذان الاتجاهان في الكشافين الأمريكيين:

— Social Sciences and Humanities Index.

— The Reader's Guide to Periodical Literature.

ففي المجالات المشتركة بينهما نلاحظ أن الدوريات المكشفة في أولهما أكثر أهمية في مجالها من تلك التي يكشفها الثاني.

وكما تتفاوت الكشافات في عدد الدوريات التي تكشفها وفي نوعية تلك الدوريات وفي مدى تغطيتها لما ينشر فيها، كذلك تتفاوت فيما بينها في عدد مرات الصدور. فهناك كشافات توقفت وكشافات أخرى جارية. فمن النوع الأول:

Ljunggren, F. (ed.): The Arab World Index. Cairo, 1967.

Poole, W.F.: An Index to Periodical Literature, 1802-1881. Boston, 1891.

ومن الكشافات الجارية ما يصدر شهرياً ويجمع كل سنة مثل:

Index Medicus, British Technology Index(1), Guide to Indian Periodical Literature.

ومنها ما يصدر نصف شهري ويجمع على فترات متفاوتة مثل:

The Reader's Guide to Periodical Literature .(2)

ومنها ما يصدر ربع سنوي مع تجميعات سنوية مثل:

Social Sciences & Humanities index. British Humanities index.

ومنها ما يصدر سنوياً مثل:

Index to South African Periodicals. Johannesburg, 1941—

Index to New Zealand Periodicals. Wellington, 1940—

وبين الفئتين من الكشافات تقف Index Islamicus التي تغطي الفترة من سنة ١٦٠٩ إلى ١٩٥٥ وتصدر لها ملاحق دورية يغطي كل منها خمس سنوات.

ومع أن الترتيب الموضوعي هو الغالب والأعم في كشافات الدوريات، إلَّا أن بعضها يضيف ترتيباً آخر بالمؤلفين كما في British Humanities Index وبعضها يدمج المؤلفين مع الموضوعات في هجائية واحدة كما يفعل The Reader's Guide to Periodical Literature.

---

(١) شهرية عدا شهر أغسطس.

(٢) تصدر شهرية في يوليو وأغسطس.

ولعل الأهم من هذا كله في تعاملنا مع الكشافات أن نتنبه إلى نقط القوة والضعف فيها. فمع أن The Arab World Index, Guide to Indian Periodical Literature كشافان عامان إلاَّ أنهما يركزان على العلوم الاجتماعية والإنسانيات. ومع أن Index to Religious Periodical Literature عالمي في مجاله وتغطيته إلاَّ أنه ينصب رأساً على المذهب البروتستنتي. ومع أن Index Islamicus يتسع مجالها لمختلف جوانب الدراسات الإسلامية وكل مايتصل بالعالم الإسلامي والفكر الإسلامي إلاَّ أنها تركز على العلوم الاجتماعية وتستبعد مايتصل بالعلوم البحتة والتطبيقية. وفي British Humanities Index, Annual Magazine Subject Index نجد تركيزاً واضحاً على التاريخ المحلي، بينما ينصب التركيز في Social Sciences & Humanities Index على التاريخ والنقد الأدبي والدراما والدراسات الإفريقية.

ولقد كانت اللغة العربية حتى عهد قريب تفتقر افتقاراً شديداً إلى هذا النوع من الأعمال البيليوجرافية التي تعرِّف بما نشر في الدوريات العربية على الرغم من كثرة تلك الدوريات وتنوعها وأهمية الكثير منها. ولكن السنوات العشر الماضية شهدت نشاطاً ملموساً في هذا المجال فظهرت الكشافات التي تحلل محتويات مجلة واحدة مثل:

- كشاف مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الذي أعده عمر رضا كحالة ونشر في أربعة أجزاء فيما بين ١٩٥٦ ـ ١٩٧١.
- فهرس «المقتطف» (١٨٧٦ ـ ١٩٥٢)، الذي أصدرته الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٦٦ في ثلاثة مجلدات بإشراف فؤاد صروف.
- فهرس «العربي»، الذي كشف فيه عبد العزيز العمري السنوات السبع عشرة الأولى من عمر المجلة ونشرته مؤسسة دار العلوم في الكويت سنة ١٩٧٧.

ـ فهارس «لغة العرب»[1]، التي أعدها حكمت توماشي، وأصدرتها مديرية الثقافة العامة بوزارة الإعلام العراقية سنة ١٩٧٢.

ـ المورد، الكشافات التحليلية للمجلدات الخمسة الأولى (١٩٧١ ـ ١٩٧٦)، أعدها عوض محمد الدوري ونشرتها وزارة الثقافة في بغداد سنة ١٩٧٨.

ـ الكشاف التحليلي السنوي لصحيفة أم القرى[2] (١٣٩٧ هـ) أعده حسين بدران وعباس طاشكندي، ونشرته عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

ـ الكشاف التحليلي لمجلة الرسالة الإسلامية التي تصدرها وزارة الأوقاف العراقية، والذي أعده جاسم محمد الجبوري للسنوات السبع الأولى منذ إنشاء المجلة سنة ١٣٨٨ هـ حتى سنة ١٣٩٤ هـ ونشرته وزارة الأوقاف في بغداد سنة ١٩٧٧.

ـ فهارس «التراث الشعبي»، التي أعدها جعفر الكواز للسنوات العشر الأولى من المجلة (١٩٦٩ ـ ١٩٧٩)، ونشرتها دار الجاحظ للنشر بالعراق سنة ١٩٨٠.

وطبيعي أن تتفاوت هذه الكشافات وأمثالها في طريقة ترتيبها، فبعضها يدمج المؤلفين والعناوين والموضوعات في هجائية واحدة كما في كشاف مجلة «العربي» وصحيفة «أم القرى»، وبعضها يفرد كشافاً للعناوين وآخر للموضوعات وثالث للمؤلفين والمترجمين والمحققين كما في كشاف مجلتي «المورد» و «الرسالة الإسلامية». ويضيف هذان الكشافان كشافاً

---

(١) صاحبها أنستاس ماري الكرملي، وكانت تصدر في الفترة من ١٩١١ إلى ١٩٣١.

(٢) الصحيفة الرسمية بالمملكة العربية السعودية، وقد بدأت تصدر أسبوعية في مكة منذ ١٣٤٣/١/١٥ هـ (١٩٢٤/١٢/١٢ م).

رابع بأبواب المجلة، وينفرد كشاف «المورد» بتخصيص كشاف للمخطوطات التي ورد ذكرها في المجلة. أما فهارس «لغة العرب» فيضم المجلد الأول منها:

١ ــ فهرس الأجزاء مرتبة زمنياً وفقاً لصدورها.

٢ ــ فهرس الكتّاب والمترجمين.

٣ ــ فهرس المطبوعات والمخطوطات المعرَّف بها.

٤ ــ الأمثال والأقوال المأثورة والحكم.

٥ ــ الألفاظ التي وردت في المجلة ولها مقابل باللغات الأجنبية (مرتبة بالألفاظ الإنجليزية).

بينما خصص الجزء الثاني للأعلام والأماكن والألفاظ اللغوية.

ولكن الكشافات التي تحلل محتويات أكثر من مجلة هي التي يحتاج إليها الباحث غالباً، وهي التي ما زال النقص فيها شديداً. فمع بداية عام ١٩٦٢ صدر بالقاهرة «الكشاف التحليلي للصحف والمجلات العربية»[١] ولكن هذه المحاولة المبدئية ــ رغم اقتصارها على ما يصدر في مصر وفي مجالات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ــ لم تدم طويلاً ولم يلبث هذا الكشاف أن توقف بنهاية سنة ١٩٦٧. وتتكرر التجربة في الكويت فيصدر عن جامعتها في سنة ١٩٧٤ كشاف تحليلي بعنوان «الصحافة الكويتية في ربع قرن» يكشف فيه محمد حسن عبد الله إحدى وخمسين صحيفة كويتية، خمسون منها صدرت في الكويت وواحدة قضت عمرها كله في القاهرة[٢]. وتمتد الفترة التي يغطيها هذا الكشاف من ديسمبر ١٩٤٦ إلى سبتمبر ١٩٧٢. ورغم أن مواده مقسمة على ثمانية موضوعات رئيسية يتفرع كل

(١) كان يصدر شهرياً ويكشف ٤ جرائد يومية و ٥٤ مجلة تقريباً.

(٢) مجلة «البعثة».

منها إلى ما هو أدق منه إلاَ أن محور هذه الموضوعات جميعها هو الكويت والكويتيون، فكل ما كتب عن الكويت «سواء كان بأقلام كويتية أو غير كويتية، وكل ما كتب الكويتيون داخل فيه سواء كان عن وطنهم أو غيره»[1].

وتشهد السبعينات من هذا القرن ظهور عدد من الكشافات الموضوعية مثل «البيليوجرافيا الموضوعية العربية» التي بدأتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ سنة ١٩٧٦ بعلوم الدين الإسلامي ثم التربية، و «ببليوجرافيا الكويت والخليج» التي بدأت تصدر بصفة دورية منذ سنة ١٩٧٧. والأولى تكشف أكثر من ستين مجلة متخصصة في ترتيب موضوعي مصنف مع كشاف موضوعي هجائي، والثانية تكشف ما ينشر عن دول الخليج في المجلات الكويتية وترتب مادتها تبعاً لخطة تصنيف القصاصات الصحفية المتبعة في وحدة المعلومات بمركز معلومات الكويت والخليج التابع لإدارة المكتبات بجامعة الكويت. وتحت كل موضوع رتبت المداخل بالمؤلفين في القائمة الأولى، وبالعناوين في القائمة الثانية.

وتقبل الثمانينات حاملة معها عملاً تكشفياً جامعاً يبشر بخير كثير، ونعني به مجلة «الفهرست»[2] التي بدأت تصدر في لبنان، والتي يغطي أول أعدادها ما نشر في ٦٦ دورية عربية فصلية وشهرية خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٨١، أما المجلات الأسبوعية فقد استبعدت لتتيح الفرصة للتركيز على الدوريات المتخصصة «باعتبارها مدخلاً إلى تلمس نبض الإنتاج الفكري في العالم العربي وتتبع اتجاهاته الرئيسية»[3]. وفي هذا الكشاف الذي خطط له أن يصدر فصلياً، ترتب المواد هجائياً تحت رؤوس

---

(١) ص ٣.

(٢) صاحبها ورئيس تحريرها ميشال نوفل. بيروت. وقد صدر منها عدد اختباري في سنة ١٩٨٠.

(٣) الفهرست، العدد الأول، ص ٣.

موضوعات مستقاة من قائمة رؤوس الموضوعات المعمول بها في مكتبة يافت التذكارية في الجامعة الأميركية ببيروت، و «مختصر رؤوس الموضوعات العربية لفهرسة الدوريات» المستخدم في مركز النهار للأبحاث والمعلومات في بيروت، وقائمة «رؤوس الموضوعات العربية» الصادرة عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض. وتحت كل موضوع ترتب المواد بالمؤلف، فإن لم يكن هناك مؤلف فبالعنوان. أما التعريفات بالكتب الجديدة فإن مداخلها تكون بمؤلف الكتاب الأصلي وليس بكاتب التعريف. ويبدأ كل عدد من هذا الكشاف بقائمة بالدوريات المكشفة وعدد مرات صدور كل منها والهيئات التي تصدرها وعناوين هذه الهيئات. ويختم بكشاف للمؤلفين.

* * *

ولم تقف الجهود التي تبذل لتيسير وسائل البحث وتوفير أدواته للباحثين عند إعداد أدلة الدوريات وكشافاتها فحسب، وإنما تجاوزت ذلك إلى ما يعرف بالمستخلصات، فقد أحس المكتبيون أن تحليل الدوريات في حدّ ذاته لا يكفي لأنه وإن كان يعرِّف الباحث بما نشر في المجلات من مقالات وبحوث في موضوع تخصصه إلاّ أنه لا يقدم له شيئاً عن مضمون تلك الكتابات وقيمتها، وشأن الكشافات في ذلك شأن من يدلك على عناوين الشقق الخالية دون أن يزوّدك ببيانات تفصيلية تساعدك على المفاضلة بينها وتوفر عليك مشقة الانتقال إليها.

ومن ثم كان التفكير في خطوة أكثر تقدماً من مجرد عملية التكشيف. وقد تمثلت هذه الخطوة فيما يعرف الآن بالمستخلصات. فلم يعد يقنع الباحث بأن تقدم له قائمة بما نشرته الدوريات في مجال بحثه، وإنما هو يطمع أيضاً في أن تعرِّفه بهذه الكتابات تعريفاً موجزاً حتى يحدد ــ بعد قراءة سطور معدودة عن كل منها ــ أيها يحتاج إليه وأيها يستغنى عنه، وبذلك يوفر من وقته وجهده الشيء الكثير.

وكما تتفاوت كشافات الدوريات في فترات صدورها كذلك تتفاوت المستخلصات فيما بينها في فترات الصدور. فبعضها نصف شهري مثل Chemical Abstracts, Physics Abstracts (١) وبعضها شهري مثل Excerpta Medica, Computer Abstracts, Electrical & Electronics Abstracts,(٢) Meteorological & Geoastrophysical Abstracts وبعضها ربع سنوي مثل Historical Abstracts, Geophysical Abstracts, Sociology of Education Abstracts وبعضها يصدر على فترات غير منتظمة مثل Photographic Abstracts التي تذبذبت بين أربع وست وثماني مرات في السنة ثم استقرت الآن على ست مرات.

ولكن القيمة الحقيقية للمستخلصات تكمن في عدد الدوريات التي يغطيها كل منها وفي عدد المستخلصات التي يقدمها. فبينما تغطي Chemical Abstracts أكثر من عشرة آلاف دورية وتقدم حوالي ٢٥٠,٠٠٠ مستخلصاً سنوياً، نجد Sociology of Education Abstracts لا تغطي سوى ٥٤ دورية ولا تقدم سوى عدد من المستخلصات يتراوح بين المائتين والثلاثمائة كل سنة.

وبين هذين الطرفين يقع كثير من نشرات الاستخلاص، بعضها يقدم في العام بضعة ألوف من المستخلصات مثل Computer Abstracts الذي يقدم كل سنة ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف مستخلص، وبعضها الآخر يصل مجموع ما يقدمه في السنة إلى حوالى عشرة آلاف مثل Meteorological & Geoastrophysical Abstracts بينما يقفز العدد إلى عشرات الألوف في بعض النشرات مثل Electrical & Electronics Abstracts الذي

---

(١) تصدر نصف شهرية منذ بداية سنة ١٩٦٩ وكانت قبل ذلك شهرية.

(٢) كانت حتى سنة ١٩٦٥ تصدر باسم:

Electrical Engineering Abstracts.

يقدم حوالي أربعين ألفاً و Physics Abstracts الذي يقدم مايقرب من تسعين ألفاً و Excerpta Medica الذي يقدم حوالى مائة ألف سنوياً.

وكما أن طريقة الترتيب الموضوعي هي الغالبة في كشافات الدوريات، كذلك الحال في أكثر نشرات الاستخلاص. فمعظم المستخلصات التي أشرنا إليها تقسم مادتها التي تقدمها إلى أقسام موضوعية قد لا تتجاوز الخمسة كما في Chemical Abstracts, Electrical & Electronics Abstracts وقد ترتفع إلى أربعين قسماً كما في Excerpta Medica التي تخصص لكل فرع من فروع الطب قسماً، فللتشريح قسم وللجراحة قسم ولاقتصاديات الصحة قسم وهكذا. ولم يخرج على قاعدة الترتيب الموضوعي غير Sociology of Education Abstracts الذي رتبت المستخلصات فيه هجائياً بأسماء المؤلفين.

وتمثل الكشافات جزءاً أساسياً في أي نشرة مستخلصات. وما دامت طريقة الترتيب الموضوعي هي السائدة فمن الطبيعي أن نجد في كل مستخلص كشافاً للمؤلفين، وحيث لا تخضع رؤوس الموضوعات للترتيب الهجائي فمن الضروري وجود كشافات موضوعية أيضاً. وإلى جانب كشافات المؤلفين والموضوعات نجد في بعض نشرات الاستخلاص كشافات لبراءات الاختراع كما هو الحال في Chemical Abstracts, Physics Abstracts, Computer Abstracts, Photographic Abstracts ويضيف بعض المستخلصات كشافاً جغرافياً كما تفعل Meteorological & Geoastrophysical Abstracts. وقد تجمع هذه الكشافات سنوياً أو كل بضع سنين كما في Chemical Abstracts التي ينشر لكل عشرة مجلدات منها كشاف مجمع للمؤلفين وآخر للموضوعات، و Photographic Abstracts التي ينشر لكل عشرة مجلدات منها كشاف موضوعي مجمع، و Meteorological & Geoastrophysical Abstracts التي يصدر لها كشاف مجمع للمؤلفين كل عشر

سنوات وصدر لها كشافان أحدهما موضوعي مصنف والآخر للمؤلفين يغطيان السنوات العشرين الأولى من تاريخها (١٩٥٠ ـ ١٩٦٩)[1].

* * *

وإذا كانت كشافات الدوريات قليلة نسبياً في اللغة العربية، فإن نشرات الاستخلاص أقل منها بكثير، ونذكر من أمثلتها نشرة «المستخلصات التربوية» ونشرة «التعريف بالوثائق التربوية» وهما تصدران عن مركز الوثائق والبحوث التربوية بوزارة التربية والتعليم في مصر، وأولاهما تقدم للباحثين العرب في مجال التربية ما ينشر في الدوريات الانجليزية والفرنسية من بحوث تربوية، أما الثانية فتركز على ما ينشر باللغة العربية سواء في شكل كتب أو في شكل مقالات أو تقارير ومن ثم فهي أميل إلى الإيجاز من سابقتها على اعتبار أن الباحث يستطيع الحصول على المادة الأصلية للمقال أو البحث بسهولة ويسر.

وفي مصر تصدر بعض مستخلصات باللغة الانجليزية نذكر منها نشرة «المستخلصات العلمية العربية» Arab Science Abstracts التي بدأت تصدر في سنة ١٩٧٣ عن المركز القومي للإعلام والتوثيق بالاشتراك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومع اتحاد الجامعات العربية ومركز اليونسكو للعلوم في الدول العربية. وهي نشرة مستخلصات لكل ما ينشر داخل الوطن العربي من مقالات في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية، مرتبة حسب التصنيف العشري العالمي وتحت كل موضوع رتبت المقالات بأسماء أصحابها. وفي آخر كل مستخلص يذكر عنوان المقال مترجماً إلى اللغة الفرنسية.

---

(١) Cumulated Bibliography and Index to Meteorological and Geoastrophysical Abstracts, 1950-1969.

ومن قبل هذا العمل كان المركز القومي للإعلام والتوثيق بالقاهرة يصدر:

Abstracts of Scientific and Technical Papers Published in Egypt and papers Received from Afghanistan, Cyprus, Iran, Iraq. Lebanon, Pakistan, Sudan and Syria.

وقد استمرت نشرة المستخلصات هذه خمسة عشر عاماً من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٩ ثم توقفت حتى جاءت نشرة «المستخلصات العلمية العربية» في سنة ١٩٧٣ لتحل محلها.

ومن جهود المركز القومي للإعلام والتوثيق في مجال الاستخلاص نشرة المستخلصات الخاصة بالنسيج والتي بدأت تصدر في سنة ١٩٥٨ باسم:

Technical Information for the Textile Industry

ولكن هذه النشرة هي الأخرى لم يكتب لها طول البقاء فقد توقفت في سنة ١٩٦٣ بعد ما يقرب من خمس سنوات على صدورها.

وليس حال المستخلصات في الدول العربية بأفضل مما هو عليه في مصر، فلا نكاد نجد منها غير نماذج معدودة نهضت بها بعض الجامعات كجامعة الرياض التي أصدرت في سنة ١٩٧٥ نشرة «مستخلصات البحوث في المجلات العلمية بجامعة الرياض» لتغطي الفترة من سنة ١٩٥٨ إلى سنة ١٩٧٥ ثم غيرت اسمها إلى «مستخلصات دوريات جامعة الرياض» ابتداء من العدد الثاني الذي صدر في سنة ١٩٧٨ ليغطي العامين الجامعيين ١٩٧٦/٧٥، ١٩٧٧/٧٦. والعنوان الأخير أدق في الدلالة على محتويات النشرة لأن صفة «العلمية» في العنوان الأول لا يقصد بها المدلول الاصطلاحي للفظ وإنما هي تتسع لتشمل كل المجلات التي تصدرها كليات الجامعة بمختلف تخصصاتها ابتداء من علوم الدين إلى العلوم الاجتماعية إلى الآداب واللغات والعلوم التاريخية، فضلاً عن العلوم البحتة

والتطبيقية. وقد رتبت المستخلصات في هذه النشرة ترتيباً موضوعياً مصنفاً، وتحت كل موضوع رتبت المداخل هجائياً بالمؤلفين مع وجود ثلاثة كشافات للمؤلفين والعناوين والموضوعات.

وإذا كانت خدمات التكشيف والاستخلاص لم تحظ بعد بما تستحقه منا من عناية واهتمام، فينبغي ألا يغيب عن بالنا أن تقدم البحث العلمي في بلادنا سيظل مغلول الخطى ما لم يتوافر لكل باحث ما يحتاج إليه من أجهزة وأدوات وعلى رأسها الأدوات الببليوجرافية التي تعتبر نافذة يطلّ منها على جهود السابقين على طريقه، ويتلمس من خلالها مواقع أقدامه على هذا الطريق.

* * *

وفي الوقت الذي يعاني فيه الباحث من النقص والقصور في الكشافات والمستخلصات العربية، يجد نفسه أمام أعداد هائلة من هذه الأدوات في اللغات الأجنبية، وهي أعداد استلزمت صدور أدلة تهدي الباحثين في مسالكها ودروبها. وكما تميز الإنتاج الغربي في هذا المجال بالغزارة والتنوع، تعددت أدلته وتنوعت أيضاً، ويمكن أن نحصرها في مجموعتين أساسيتين هما:

١ ــ قوائم حصر الأعمال الببليوجرافية التي سبق ذكرها عند الحديث عن الببليوجرافيات وقوائم الكتب مثل:

Bibliographic Index, Index Bibliographicus, World Bibliography of Bibliographies.

فهذه القوائم وأمثالها تضم أهم ما صدر من كشافات ونشرات استخلاص، وترتب موادها ترتيباً موضوعياً، هجائياً أحياناً كما في القائمتين الأولى والثانية، ومصنفاً أحياناً أخرى كما في القائمة الثالثة التي تتبع التصنيف العشري العالمي وتضيف كشافاً موضوعياً مختصراً لتيسير الاستفادة منها.

٢ ـ قوائم المستخلصات في مجالات التخصص. وهذه يمكن تقسيمها إلى فئات ثلاث هي:

(أ) القوائم العامة، مثل:

— A Guide to the World's Abstracting & Indexing Services in Science & Technology. Washington, National Federation of Science Abstracting & Indexing Services, 1963.

— Abstracting Services in Science, Technology, Medicine, Agriculture, Humanities. The Hague, FID, 1965. (2nd ed. 1969) (١).

(ب) الفهارس الموحدة للكشافات والمستخلصات المتاحة في مجموعة معينة من المكتبات، مثل:

— Union List of Current Abstracting, Indexing & Review Serials in the Libraries of the North & East Midlands , edited by A.C. Foskett. London, L.A,., 1964.

— Abstracting & Indexing Services Held by Hampshire Technical Research Industrial Commercial Service Members(٢). Southampton, HATRICS, 1968.

(ج) قوائم الكشافات والمستخلصات التي تقتنيها مكتبة معينة مثل:

— A KWIC Index to the English Language Abstracting & Indexing Publications Being Received by the National Lending Library for Science & Technology. Boston Spa, Yorkshire, 1966. (3rd ed. 1969).

— Current Abstracts & Indexes in the Technical and Commercial Library. Manchester, Central Library, 1963.

ويعتبر A Guide to the World's Abstracting and Indexing Services in Science and Technology من أضخم تلك القوائم ليس فقط في عدد ما

---

(١) صدرت هذه الطبعة بعنوان:
Abstracting Services: V.1. Science, technology, medicine, agriculture.

(٢) يسجل مقتنيات ٣٨ مكتبة.

يذكره من كشافات ونشرات استخلاص تصل إلى ١٨٥٥ وإنما أيضاً في كمية المعلومات التي يعطيها. فهو يذكر عدد مرات صدور كل منها وتاريخ تأسيسه ومتوسط عدد المستخلصات التي يقدمها في السنة وطريقة الترتيب المتبعة فيه ونوع كشافاته وثمنه والموضوعات التي يغطيها.

ويذكر... Abstracting Services in Science, Technology معظم هذه البيانات ويضيف إليها أسماء الناشرين وعناوينهم ومدى الانتظام في الصدور أو التأخير، وإلى أي حد تتجاوز التغطية الأعمال المحلية إلى ما هو أجنبي. هذا بالإضافة إلى متوسط طول المستخلص وطبيعته وإمكانية الحصول على نسخ منه.

أما ترتيب تلك القوائم فهو غالباً بالعنوان، هجائياً أحياناً ومصنفاً أحياناً أخرى. وقد يجتمع الترتيبان كما في:

Guide to the World's Abstracting and Indexing Services

وطالما أن الترتيب هجائي فطبيعي أن تطالعنا كشافات موضوعية في معظم تلك القوائم، وقد يضيف بعضها كشافاً جغرافياً بالبلاد كما يفعل الدليل المذكور آنفاً.

* * *

وإذا كانت أدلة الكشافات والمستخلصات ثمرة طبيعية من ثمار الكثرة والتنوع في هذه الأدوات، فطبيعي ألا نجد لها أثراً في اللغة العربية التي ما زالت تعاني من فقر دم شديد في هذا المجال. صحيح أن التكشيف قد بدأ يقف على قدميه في العقد الأخير، ولكن الاستخلاص ما زال يحبو. وإذا كانت السبعينات قد شهدت نهضة مباركة في مجال التكشيف، فلعل العدوى تنتقل إلى مجال الاستخلاص في الثمانينات.

الكشاف

(أ)

(ب)

(ت)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

Index

Y

Z